



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار تليدي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية



الموضوع

أساطير المخلق في بلاد الرافدين سومرو بابل نموذجاً

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: حضارات قديمة

إشراف الأستاذ:

عبد الوهاب كيدار

إعداد الطالبتين:

ليندة فواري

مريم بن عزوزي

أعضاء لجنة المناقشة

- أ. طارق مريقي..... رئيساً

- أ. عبد الوهاب كيدار..... مقراً

- أ. صبيحة أوكيل..... ممتحناً

السنة الجامعية 2015 / 2016 —————ة.

كلمت شكر

إن نعمة الله وفضله شملت أرجاء كونه، غير أن عمل المرء يحتاج إلى عونهِ وتوفيقهِ كما أن الحاجة للآخرين ضرورية لإتمام المشاريع والأعمال على أحسن وجه، وإذا كان من كمال شكر الله شكر الناس، فانه يسرنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم لأستاذنا المشرف الأستاذ "عبد الوهاب كيدار" الذي قبل الإشراف على هذه الدراسة، فهو الذي كان وسيظل المثل الأعلى في الجد والاجتهاد، والإخلاص في العمل فقد كان نعم المرشد بنصائحه الثمينة وملاحظاته القيمة وتوجيهاته العلمية في معالجة الأخطاء وفرز المعلومات الصحيحة وتوظيفها بإتقان. كما نشكر جميع أساتذة قسم التاريخ المحترمين من بينهم الأستاذة المحترمة:

"أوكليل صبيحة" كما نشكر جميع القائمين على مكتبة جامعة عمار ثليجي بالأغواط



إهداء

إلى " نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم " وإلى الأرض التي صنعتها دماء الشهداء والابرار إلى رمز البطولات والثوار اليك يا " جزائر الغالية " إلى من قال في حقهما الله تعالى : " ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا " إلى من كانت سندي في حياتي ، ارضعتني الحب والحنان ، الشمعة التي احترقت من أجل أن تنير درب حياتي ، والعيون التي سهرت من أجل أن تشرق علينا شمس الامنيات رافقتني بدعواتها وكانت سرنجاحي ، إلى التي وضعت الجنة تحت قدميها " أمي ثم أمي ، ثم أمي " ، حفظها الله ورعاها . إلى الذي أحل اسمه بكل فخر واعتزاز ، والذي حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم والنجاح " أبي الغالي " حفظه الله ورعاها . إلى توأما روحي وسندي رمز الوفاء والرقعة والعطاء " آمال ، وهبة الرحمان " .

إلى القلوب الطاهرة والأغصان المتفرعة من أصل طيب إخوتي " : عز الدين ، يحيى ، محمد الأمين ، هيثم " . إلى من ينطبق عليه القول " إن جف البحر بقية رماله ، وإذا غاب الصديق بقية ذكرياته " فكانت معرفته طيبة وعشرته أطيب إلى رمز الوفاء والاحترام " عرجون مولود " .

إلى الغالية " البتول فاطمة الزهراء بن زيان " إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلبي إلى الاهل والأقارب . إلى كل مؤرخ عرف التاريخ وقدر قيمته .

إلى من قال فيه أحمد شوقي : " قم للمعلم ووفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا . "

إهداء خاص إلى معلمي " مرسلي همشة " أطال الله عمره .

كهلينة



إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"قل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشرك . . . ولا يطيب النهار إلا بطاعتك . . . ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك . . . ولا تطيب

الآخرة إلا بعفوك . . . ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك . . .

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة . . . ونصح الأمة . . . إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار . . . إلى من علمني العطاء بدون انتظار . . . إلى من أحمل اسمه بكل افتخار . . . أرجو من

الله أن يمد في عمره . . . والدي العزيز .

إلى ملاكي في الحياة . . . إلى معنى الحب والحنان والتفاني . . . إلى بسملة الحياة وسر الوجود . . . إلى من كان دعائها سر

نجاحي . . . أمي الغالية .

إلى من أرى التفاعل بأعينهم . . . والسعادة في ضحكهم . . . إلى شعلة الذكاء والنور إخوتي .

وأخص بالذكر إلى روح أخي الطاهرة أحمد رحمة الله عليه وروح جدتي الطاهرة رحمها الله

إلى الأخوات اللواتي لم تلدن أمي . . . إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء . . . إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا

أضيعهم . . . صديقاتي .

إلى رفيقة الدرب . . . إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الحسنة . . . إلى من رافقتني ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة وما

تزال ترافقني حتى الآن لينده .



مریم

غفره

إن مسألة بداية العالم من أولى المسائل التي دقت أبواب العقول البدائية التي غلبت عليها الفطرة والغريزة فكانت الأفكار البدائية عن أصل وطبيعة العالم مجرد أفكار يلعب دور البطولة فيها الآلهة وأنصاف الآلهة، وتجري أحداثها على بساط التأمل الفلسفي فشملت أنحاء العالم القديم عامة وبلاد الرافدين خاصة حيث تنتمي أساطير التكوين في هذه الأخيرة إلى زمرة أساطير الميلاد المائي فالحالة السابقة لبدء الكون في هذه الأساطير هي حالة من العماء المائي، حالة من اللاتمايز والتشكل في زمن سرمدى متماثل وفي لحظة معينة ينبثق الكون من العدم، وتتقدم قوى الحركة والحياة على قوى السكون لينبثق الشكل من الهوى ويصبح للزمان والمكان معنى، فتتقدم قوى الحركة على قوى العماء ليس بالأمر السهل فلهذه الغاية تتم معارك بين الآلهة من الطرفين معارك ستنتهي بانتصار آلهة الحركة لتنبثق الحياة وينشأ الكون الذي عرفه الإنسان العراقي القديم فالصراع بين نوعي الآلهة لا ينتهي عند إنطلاق الحياة إنما هو صراع أبدي يشارك البشر في هذا الصراع، بإقامة طقوس سنوية تمثل معركة إنتصار آلهة الحياة على آلهة العماء وتتمحور هذه الطقوس حول إعادة تمثيل فعل الخلق الأول والتكرار الدرامي للصراع البدائي الذي أنتج الأكوان.

لقد شغل خلق الكون والإنسان فكر العراقي القديم وترك أساطير عدة تتضمن معتقداته التي تمتاز بعدم الثبات والإختلاف فيما بينها وعلى ضوء أساطير الخلق السومرية والبابلية، القول بصفة عامة أن القدماء في وادي الرافدين اعتبروا أن المياه الأزلية كانت أصل الوجود فالنظرية التي تقول بأن المحيط كان العنصر البدائي الذي خلق الكون منه وأن الأخير قد نتج عن انفصال الأرض عن السماء، وهو الانفصال الذي فرض بالقوة من قبل مجموعة ثالثة من الآلهة، كانت شائعة عموماً في سومر وبابل، لقد أسقط إنسان وادي الرافدين تصوره المستمد من مكونات النهرين دجلة والفرات، فالدنيا في إعتقادهم خرجت من المياه الكونية الأولى مياه الهوى فلما تأسست أول دولة كونية، لم ينسى العراقيون أن يكون ثالث الزعماء في مجلس آلهة الدولة (إله المياه) كذلك إستوحت أساطير وادي الرافدين إلهامهم من موقع بلدهم، فالسحب المنخفضة تتعلق في الأفق وينابيع المياه العذبة تترع من تحت الأرض وتختلط بالمياه المالحة للخليج، وتمتدح السماء والأرض والبحر في فوضى مائية ضبابية يبين من خلالها هذا المشهد مراراً كيفية بدء تكوين العالم ومن



الممكن الحديث عن أساطير الخلق التي بدءها السومريون ثم طورها البابليون بعد ذلك ولكي تتضح معالم هذا التصور، يجب الحديث عن أفكار الخلق السومرية التي لم تتبلور في أسطورة متكاملة حيث أن الحقائق لم تخرج مثل هذه الأسطورة حتى الآن ثم الحديث عن أفكار الخلق البابلية التي تبلورت في عدة أساطير بعضها كامل وبعضها الآخر إشارات للخلق وردت في أساطير أخرى، ومن المعروف أنه لم تستخلص حتى الآن أساطير سومرية تعالج بشكل مباشر وصريح خلق الكون، أما القليل المعروف عن الأفكار الكونية السومرية فقد استخرج واستنتج من عبارات ممزقة مبعثرة في أنحاء الوثائق الأدبية الرافدية، ولم تكن أفكار السومريين عن الخلق والتكوين أفكار بدائية بل أفكار ناضجة بالدرجة التي تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الإنسان، فلقد أبدى السومريون قدرة فائقة على الملاحظة الذكية والربط واستخلاص النتائج المنطقية من المقدمات والحقائق والوقائع المشاهدة، وإن دراسة النصوص المتفرقة تعطينا التسلسل الأسطوري لعملية خلق العالم والكون، وبناء على هذا نجد أنفسنا أمام الإشكال التالي: **كيف كانت نظرة السومريين والبابليين للخلق؟**

ضمن هذه الإشكالية تدرج لدينا مجموعة من التساؤلات التالية :

1- كيف كانت بداية الخلق في سومر وبابل؟ وماهي أهم الألهة المسؤولة عن ذلك؟
وفيما تمثلت عملية تنظيم الكون وخلق الانسان؟

للإجابة على هذه الأسئلة المطروحة ارتأينا إستعمال المنهج الوصفي والتحليلي، اللذان يرصدان وينقلان ما مضى من وقائع وأحداث، فيصفانها ويفسرانها على أسس علمية صارمة بقصد الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم نتائج تاريخ بلاد ما بين النهرين خصوصا الجانب الديني من أساطير وآلهة، فهذه المنهجين يساعدان على وصف كيفية خلق العالم والإنسان في كل من حضارتي سومر وبابل، وذلك بإعطاء مساحة شاملة لهذين النموذجين.

لقد دفعتنا عدة أسباب لإختيار هذا الموضوع يمكن تلخيصها فيما يلي :

- الميل إلى دراسة تاريخ حضارة بلاد الرافدين وخاصة الحضارتين السومرية والبابلية وما تعلق بهما من أساطير خلق الكون والإنسان .

- الدافع الذاتي الذي كان يراودنا أثناء دراستنا في سنوات الليسانس وقد زاد إهتمامنا بهذا الموضوع " أساطير الخليقة في بلاد الرافدين " خلال السنة أولى ماستر .

- نقص وإفتقار المكتبة لهذا النوع من الدراسات، لذا إرتأينا أنه من واجبنا المساهمة ولو بعمل بسيط في إثراء المكتبة.

أما عن أهمية هذا الموضوع فتكمن في كونه يدرس جانب من جوانب حضارة بلاد الرافدين والمتمثل في معرفة أساطير الخلق، إضافة إلى التعرف عن كيفية خلق الكون والإنسان ومجريات خلق النجوم والكواكب ومعرفة أسماء الآلهة المسؤولة عن هذا الخلق .

حيث تم تقسيم الموضوع إلى ثلاث فصول :

الفصل الأول والمدرج تحت عنوان " ماهية الأدب " فاقصرنا فيه عن إعطاء مفاهيم لغوية وإصطلاحية لكل من الأسطورة والملحمة والقصة كما تضمن الفرق بين الأسطورة والأجناس الأدبية الشبيهة لها إضافة إلى أنواع ومميزات الأسطورة .

أما الفصل الثاني فخصص للتحدث عن أسطورة الخلق السومرية بحكم أن هذه الأخيرة هي أول وأقدم حضارة عرفت بلاد الرافدين، وذلك بذكر الآلهة المسؤولة عن عملية الخلق بما فيها خلق الكون والإنسان والنجوم والكواكب .

في حين خصص الفصل الثالث والأخير بالتطرق إلى أسطورة الخلق البابلية الإينوما إيليش كونها أهم أسطورة تتحدث عن خلق العالم والإنسان في الحضارة البابلية، بداية بالآلهة والصراع القائم بينها إلى الإنسان وكيفية خلقه .

في حين هدفنا من الدراسة الموضوع هو الإلمام بالجانب الأسطوري والديني للحضارتين السومرية والبابلية وذلك بتسليط الضوء على ما جاء فيهما من معتقدات وأساطير حول الخلق ومعرفة مامدى تأثير هذه الأساطير على فكر الشعوب السومرية والبابلية .

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع فنجد:

❖ دراسة الأستاذ بقة بلخير الذي تناول موضوع : أثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية - سومر وبابل (3200-539ق.م) حيث تطرق الى اسطورة الخلق البابلية الاينو مايليش. في حين توسعنا نحن في دراستنا لهذه الأسطورة

❖ دراسة مباركة حمو ومنصورة طيبي بعنوان: الأدب في بلاد الرافدين (3200-539 ق م) والتي تناولت طبيعة الأدب الرافدي حيث توسعنا في هذه الداسة وأخذنا نماذج للأدب الرافدي

ومنه فقد إعتمدنا في إعداد هذه المذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع : من أهمها القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في الصحف المنقول الينا بالتواتر قال تعالى: (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) سورة الشعراء الآية: (192-195) إضافة الى العهد القديم

أما عن أهم المراجع التي تحدثت عن أساطير الخليفة في بلاد الرافدين نجد: خزعل الماجدي بمجموعة من كتبه لعل من أهمها كتابه المعنون بـ " متون سومر " والذي تحدث فيه بكثرة عن الديانة السومرية من بدايتها إلى أساطيرها وآلهتها .

إلى جانب كتابه هذا نجد أيضا سهيل قاشا الذي هو الآخر يتحدث عن التاريخ البابلي، وعن أساطيره في كتابه "أثر الكتابات البابلية في مدونات التوراتية"، إضافة الى فراس السواح أجزاء كتبه المتعلقة بأساطير الخلق لبلاد الرافدين إضافة إلى هذه الكتب إعتمدنا على مجموعة من المجلات من بينها مجلة سومر، إلى جانب المذكرات والمقالات .

ولانخفي مدى الصعوبات والمشاكل التي صادفتنا أثناء البحث والتي تتمثل أساسا في :

- صعوبة التعامل مع المصادر التي تتناول هذا الموضوع مما أدى إلى صعوبة دراسة بعض نواحي الموضوع .

_ كذلك الاعتماد على نسخ الكتب على جهاز الحاسوب والذي يتعب الباحث كثيرا ، إضافة ضيق الوقت .



الفصل الأول

لمحة عن أدب بلاد الرافدين

في دراستنا لأية ظاهرة من ظواهر الثقافة الإنسانية، هناك مسألة تطرح نفسها ابتداءً ولا نستطيع السير قدماً في مهمتنا قبل التوقف عندها، ألا وهي مسألة المصطلح والتعريف، فبدون هذه الخطوة المبدئية التي من شأنها تعريف الظاهرة وتوضيح حدودها، قد يجد الباحث نفسه يلاحق ظواهر بعيدة عن موضوع دراسته أو ينساق وراء جوانب ثانوية من الظاهرة المعنية على حساب جوانبها الرئيسة، والمشكلة التي تواجهنا عندما نحاول أن نستهل دراستنا بتعريف للظاهرة وتوضيح لمصطلحاتها هي أننا لا نستطيع التوصل إلى تعريف مرض قبل أن نكون قد قطعنا شوطاً واسعاً في تقصي ظاهرها لأن التعريف الذي يأتي نتيجة الدراسة المتأنية والعميقة، سوف يعكس أهواء الباحث ومواقفه المسبقة وإسقاطاته الخاصة، عوضاً على أن يكون مرشداً موضوعياً له. ففي مجال الأدب والأسطورة التي هي ظاهرة من أهم ظواهر الثقافة الإنسانية يمكن للباحث أن يتدبّر من التعريف المبدئي التالي فيقول: "الأسطورة هي حكاية شعبية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية"⁽¹⁾ غير أن التقدم في مسيرة البحث سوف يطلعنا على العديد من الأجناس الأدبية التي ينطبق عليها هذا التعريف والتي تبعدنا عن دائرة الأسطورة تدريجياً، وذلك لعدم صلتها بها رغم مشابقتها لها من حيث الشكل.

إن القدماء لم يضعوا لأنفسهم تمييزاً لغوياً دقيقاً لتلك المجموعة من الأعمال الأدبية، التي تصنف تحت عنوان الميثولوجيا، ولا عنوان بتفريقها عن بقية الأجناس الأدبية، وذلك رغم تأكيدهم على اختلافها وخصوصيتها، كالحكايات الخرافية الملاحم والرواية والقصص الشعبي وما إلى ذلك من أجناس أدبية ورثت الأسطورة ونهلت من منابعها.⁽²⁾

1 - فراس السواح، الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا و الدبانات الشرقية)، ط 2، دار علاء الدين، دمشق، 2001، ص 7_8.

2 - فراس السواح، د ين الانسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، ط 4، دار علاء الدين، دمشق، 2002، ص 52.

1تعريف الأدب :

أدب حضارة وادي الرافدين أقدم ادب أنتجه الانسان على ما أجمع عليه الباحثون في تاريخ الحضارات القديمة، فكان بذلك اولى المحاولات في تاريخ الانسانية للتعبير عن الحياة وقيمتها ومعانيها بأسلوب الفن الأدبي ولكي لا يكون هذا الرأي من قبل إرسال القول فينبغي ألا يكتفي بمجرد الإستشهاد بإجماع الباحثين بل ندل على ذلك بانتهاج أسلوب البحث العلمي بأن نقارن ما بين زمن أدب وادي الرافدين وبين أزمان آداب الحضارات القديمة الأخرى، وموجز ما يقال عن هذا الصدد أنه على الرغم من أن الزمن الذي دونت فيه أشهر النصوص الأدبية في حضارة وادي الرافدين لا يتجاوز أواخر الألف الثالث و أوائل الألف الثاني قبل الميلاد إلا أن تلك النصوص الأدبية قد تم إيداعها وانتاجها في أزمان أقدم من عهد تدوينها وقد تناقلتها الأجيال المتعاقبة بالرواية الشفهية فوقع فيه الكثير من التطور إلى أن بدأ القوم يدونوها في ألواح الطين بأشكالها النهائية الأخيرة التي جاءت فيها إلينا منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.

فإذا قارنا قدم هذا الأدب، سواء كان ذلك من ناحية زمن إيداعه أم زمن تدوينه بأقدم أدب أنتجته الحضارات القديمة وجدناه يسبق جميع ما أنتجه الفكر البشري بعشرات القرون، فبالمقارنة مع حضارة مصر القديمة مثلاً لم يأتينا من أدبها من عصر إزدهارها في العصر المسمى في تاريخ حضارة وادي النيل بعصر بناء الأهرام (الألف الثالث) قبل الميلاد. أن ما يثير الدهشة في البحث الحديث عن ذلك الأدب الموغل في القدم يتميز بالمقومات الأساسية التي تميز الآداب العالمية الشهيرة سواء كان ذلك من ناحية الأسلوب وطرق التعبير أم من ناحية الموضوع والمحتوى والصور الفنية المعبرة والأصالة والجرأة وأهمية الموضوعات التي تناولها الخصائص العامة لآداب واد الرافدين، بالإضافة إلى صفة القدم فإن أدب حضارة وادي الرافدين يتميز على الآداب القديمة بخاصية أخرى مهمة هي أن معظم تلك الآداب القديمة قد طرأ عليها الكثير من التحوير والتبديل والحذف، والاضافة على أيدي الناسخين والجامعين في حين أن الأدب السومري والبابلي جاء بميثته الأصلية غير محور كما دون بأقلام فكتب على ألواح الطين قبل نحو (4000) عام وهي الألواح المدونة بالخط الذي أطلق عليه مصطلح الخط المسماري⁽¹⁾.

¹ - طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، دار العربية للطباعة، دم، دت، ص ص 35_33.

ومن الطريف ذكره بهذا الصدد أنه مع هذا القدم الموغل في الزمن فإن أدباء العراق القديم عدوا أنفسهم حديثي العهد في الحضارة وأنهم ورثاء ماضٍ مجيد متقدم العهد تخيلوه على هيئة "عصر ذهبي" كان السلام والخير يسودان الأرض فيه، فلا خوف ولا حزن ولا بغضاء ولا حيوانات مفترسة تنازع الإنسان على البقاء وكان "البشر بلسان واحد يمجدون الإله أنليل" كما ورد ذلك في إحدى الأساطير السومرية.

إذا كانت مصادرنا عن أدب العراق القديم النصوص الأصلية المدونة بالخط المسماري في ألواح الطين فما مقدار الألواح التي تتضمن هذه النصوص الأدبية بالنسبة إلى عدد ما جاء إلينا من مجموع ألواح الطين التي اكتشفت في بقايا المدن النقدية؟ وللإجابة على هذا السؤال بوجه الإيجاز نقول أن ما أستخرج من ألواح الطين المختلفة النصوص يبلغ مئات السنين وقد يناهز المليون لوح مما هو موزع الآن في المتاحف العالمية المشهورة على أن هذا العدد وعلى كثرته، لا يؤلف في الواقع إلا نسبة غير كبيرة مما لا يزال مطمورا في الأطلال القديمة المنتشرة في شتى ربوع العراق، و في بعض الأقطار المجاورة التي اقتسبت الخط المسماري من حضارة وادي الرافدين في تدوين لغاتها ومعه الكثير من التراث الأدبي والفني من حضارة وادي الرافدين، مع أنه يمكن إجمال ما تقصده الألواح الأدبية بأنها النصوص الكتابية التي لا تتعلق بتدوين الحياة الإعتيادية كالمعاملات التجارية والقانونية والرسائل والشؤون الإدارية، من ناحية أسلوب التأليف اللغوي كوسيلة للتعبير الفني لنقل التجارب والصور والخبرات والأحاسيس إلى القارئ أو السامع إلى غير ذلك من الخصائص التي يتصف بها النتاج الأدبي في جميع العصور وبالوسع إيجاز ذلك في ثلاثة أمور⁽¹⁾

1- الموضوع أو الفكرة التي تعبر عنها القطعة الأدبية.

2- الأسلوب الأدبي الفني، سواء كان شعرا أم نثر، المتميز بطراز خاص من التعلم والتأليف المؤثر في مشاعر القارئ أو السامع.

¹ - طه باقر ، المرجع السابق ، ص 34.

3- إختيار الحوادث والمواقف المؤثرة بالنسبة إلى المفاهيم والحضارة التي أنتجت الأدب
المبحوث فيه

من الملاحظات المهمة التي يجدر ذكرها في هذه المقدمة لفهم أدب العراق القديم أمر يتعلق باللغة التي دون بها هذا الأدب فمن الحقائق التاريخية المعروفة عن حضارة وادي الرافدين أنها كانت من الناحية اللغوية، مزدوجة اللغة السومرية والبابلية وهي الفرع الشرقي من عائلة اللغات السامية⁽¹⁾.

2-أنواع الأدب المادة والألواح الطينية :

أ-ملحمة جلجامش :

واحدة من أشهر الملاحم الشعرية في تاريخ أداب الشعوب القديمة⁽²⁾ والتي يحق أن نسميها "أوديسة العراق" يضعها الباحثون ومؤرخو الأدب بين شوامخ الأدب العالمي وأنها من حيث سبقها في الزمن لجميع ما يضاهيها من الملاحم العالمية المشهورة وأقدم نوع من أدب الملاحم البطولية في تاريخ جميع الحضارات وإلى هذا فإنها أطول ملحمة عرفتتها حضارات العالم القديم فليس ما يضاهيها ويقارن بها في آداب الحضارات القديمة قبل الإلياذة والأوديسية في الأدب اليوناني⁽³⁾.

ومع أن هذه الملحمة قد دونت قبل 4000 عام وترجع حقبة حوادثها إلى أزمان أخرى أبعد وقد عاجلت قضايا شغلت بالإنسان وتفكيره وتوثر في حياته العاطفية والفكرية مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة تأسر القلوب فقد عاجلت قضايا إنسانية عامة كمشكلة الحياة والموت، وما بعد الموت والخلود، ومثلت تمثيلا مؤثرا بارعا ذلك الصراع الأزلي بين الموت والزوال المقدرين وبين إرادة الإنسان اللغوية ومحاولتها التشبث بالوجود والبقاء، فهي تمثل بذلك التراجيديا الإنسانية الأزلية المتكررة⁽⁴⁾.

¹ - طه باقر، المرجع السابق ، ص36.

² - تقي الدباغ و آخرون ، حضارة العراق ، ج 1 ، دار الحرية ، بغداد 1985 ، ص 338 .

¹ - طه باقر ، المرجع السابق ، ص 100 .

⁴ - طه باقر، ملحمة جلجامش ، (د،ن)، (د،م)، (د،ت)، ص 8.

إن الملحمة جاءت في إثني عشر لوحا وكل منها تقريبا مقسم إلى حقول (خانات) ومعدل ما يحتوي عليه كل لوح زهاء 300 سطر أو بيت بإستثناء اللوح الثاني عشر الذي يبلغ عدد أسطره نصف هذا العدد وجاءت تحت عنوان (من رأى كل شيء) وهي العبارة الأولى في فاتحة سيرة الشخصية الأساسية في هذه الملحمة فإن بطلها جلجامش، وجلجامش شخصية تاريخية ورد اسمه في قائمة الملوك الذين حكموا في أوروك لإثبات الملك السومري وكان الملك الخامس من الوركاء وقد حكم جلجامش 126 سنة (رقم مبالغ فيه) لاشك في أنه كان بطلا شجاعا بحيث صار رمزا للقوة والإقدام والمغامرة هناك مالا يقل عن أربع قصص سومرية تدور حول هذا البطل ومآثره تسبق في تاريخها ملحمة جلجامش البابلية ولا شك في أن هذه القصص إضافة إلى قصة الطوفان السومرية كانت المصدر الذي استمدت منه الملحمة مادتها الأصلية⁽¹⁾.

وتبدأ ملحمة "جلجامش" بذكر خصال الملك الأوروكي فتذكر خبرة وحكمته بخفايا الأمور وأخبار الزمان .

- هو الذي رأى كل شيء تعنى بذكره يا بلادي

وهو الذي جمع الأشياء وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شيء

لقد أبصر الأسرار وعرف الخفايا المكتوبة

وجاء بأنباء الأيام مما قبل الطوفان

لقد أوغل في الأسفار البعيدة حتى حل به الضنى والتعب

ففتش في نصب الحجر كل ما عاناه وما خبره⁽²⁾.

وكان جلجامش على أتم ما يكون من الخلق وكمال الصورة فقد حباه شمش السماوي

بالحسن وخصه الإله "أدد" بالبطولة

كان طوله أحد عشر ذراعا وعرض صدره تسعة أشبار

¹ - تقي الدباغ وآخرون ، المرجع السابق ، ص 339 .

² - طه باقر ، (ملحمة جلجامش) ، المرجع السابق ، ص 28 .

ثلاثان منه إله وثلاثة الأخير بشر

وهيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشي

وقت سلاحه لا يصدده شيء

وعلى ضربات الطبل تستيقظ رعيته⁽¹⁾.

وكان جلجامش كما تذكر الملحمة طاغيا على أهل مدينته وكان طافح الشهوة أزعج سكان أوروك تبعا له وعدوانه على الفتية والفتيات، يسوق شعبه سوقا عاشيا فيلتمس الشعب إلى الألهة بأن تخلق منافسا له يشغله فيجد الشعب شيئا من الراحة، واستمع الإله "أنو" لشكواهم "أنو" الجليل يدعو "أرورو" يا "أرورو" أنت الذي خلقت هذا الرجل بأمر "أنليل" فأخلق الآن عزيمًا له يصارعه في قوة القلب والضم، وليكونوا في صراع مستديم لتنال أوروك السلام والراحة فأنجبت أرورو قطعة من الطين وبصقت عليها وصورت منها أنكيديو هو رجل له رأس الخنزير ولبدة الأسد وسرعة الطير ولا يعبأ أنكيديو بصحة الأدميين بل يعتزلهما ويعيش مع الحيوانات يرعى الأعشاب والضياء ويلعب مع مخلوقات البحار⁽²⁾.

ويحاول أحد الصيادين أن يقتنصه بالشباك والفخاخ لكنه يعجز عن اقتناصه فذهب الصياد إلى جلجامش وأخبره بقصة هذا الإنسان القوي المتوحش ويطلب منه أن يعطيه فتاة لكي يغوي بها أنكيديو ولتروضه ومن ثم تستدرجه إلى الوركاء، فأعطاه جلجامش الفتاة وارتحل بها ثلاثة أيام حتى بلغا البرية التي يعيش فيها، وتربصا به يومين حتى خرج وحيواناته ليسقيها واستطاعت الأنثى أن تفتنه بجمالها، فكشفت له عن مفاتها وخلقت له ملابسها وفرشتها له ونجحت فيما فشل فيه غيرها فاستجاب لها أنكيديو فقضى معها ستة أيام وسبع ليال، وبعد أن اشبع منها سبعة ليال من اللذة التي منحتها له أدار وجهه نحو قطيعه ولكن الغرلان لما رأته هو والبغي أنكرته ونقرت منه

¹ - طه باقر، (مقدمة في أدب العراق القديم)، المرجع السابق، ص 105.

² - طه باقر، (ملحمة جلجامش)، المرجع السابق، ص 32.

وقطيع السهوب تحول عنه. فقد أنكىدو قواه، وجهدت ركبته بينما كان قطيعه يبتعد عنه تعالت سرعته ولم يعد عدوه كما كان عليه لكن عقله تفتح وصار صاحب ذكاء⁽¹⁾.

فرجع إلى البغي وراعى عند قدميها فقالت له "أصبحت يا أنكىدو عارفاً حكيماً مثل إله فعلاً تحول مع الحيوانات في البرية تعال أقدم إلى أوروك ذات الأسوار إلى بيت "أنو"، و"عشتار" حيث يعيش جلعامش المكمّل القوة والمتسلط على الناس كالثور الوحشي فأسلم أنكىدو وانقاد إلى البغي قال لها : هلمي أيتها البغي خذي إلى البيت المشرف المقدس، مسكن "أنو" و"عشتار" إلى حيث يحكم جلعامش المكمّل القوة، المتسلط على الناس كالثور الوحشي وأنا الذي سأبدل المصائر⁽²⁾.

تورادت الرؤى على جلعامش وروى الحلم على أمه "اني رايت في الليل رؤيا أني أسير بين الأبطال مختالاً فظهرت كواكب السماء و سقط أحدها علي و كأنه شهاب السماء "أنو" أردت أن أرفعه ولكنه ثقل علي وأردت أن أزحزحه فلم أستطع وتجمع حوله أهل أوروك وإزدحم الناس وتدافقوا وقبلت رعيتي قدميه أحبيته وأنخية عليه كما أنخني على امرأة ورفعته ووضعته على قدمي فجعلته نظيراً إلي " فنبأته أمه نبأ أنكىدو وتنبأت له بأنه سيميل إليه كما يميل إلى انثى، ثم رأى في رؤيا أخرى أن قومه ثبتوا فأسا في الأرض وتجمعوا حوله فاتجه إليها بدوره ولما أعاد الرؤيا على أمه فسرقها له بتأويلها الأول نفسه⁽³⁾.

وصل أنكىدو وبصحبه الفتاة إلى الوركاء فتملكه العجب، ولما رأى فيها مظاهر الحياة الجديدة التي لم يألّفها في البراري مع الحيوانات، كان عليه أن يتعلم كيف يأكل ويشرب ويدهن جسده بالزيت ويتعطر بالطيب ويرتدي ملابس نظيفة، بعد ذلك سار أنكىدو ومن خلفه الفتاة في أسواق الوركاء حيث رآه الناس وأعجبوا بمظهره وحسن قامته وكان جلعامش يحضر للقاءه مع الأشجار والعروس واقترب جلعامش من المعبد ليضاجعها فقطع أنكىدو الطرق عليه في الساحة

¹ - تقي الدباغ و آخرون، المرجع السابق ، ص 320.

² - طه باقر ، (ملحمة جلعامش) ، المرجع السابق ، ص 35

³ - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم) ، المرجع السابق ، ص 108

العامّة، أغلق باب بيت العرائس بقدمه ولم يسمح له أن يمر فأمسكا ببعضها وتصارعا وثار كالثورين الوحشيين فحطما العمود وازيح الجدار، كلاهما بطل عظيم لكن جلعامش أثني ركبته وقدمه ثابتة في الأرض وأراد رفع أنكيكو وإستدار فوقعت عينه بعين أنكيكو فهذأت صورة الغضب وقال أنكيكو له: أنك الرجل الأوحّد أنت الذي حملتك أمك ولدتك أمك "نسون" مفسرة الأحلام وزوجة الملك لو كال البقرة الوحشية ورفع أنليل رأسك عاليا على الناس وقدم إليك الملوكية على البشر⁽¹⁾.

انتهت المصارعة بين البطلين بأن انعقدت أواصر الصداقة بينهما وصار حليفين حميمين يلزم أحدهما الآخر، وبعد أن انعقدت أواصر الصداقة بينهما شرعا بالقيام بسفر طويل في مغامرة إلى غابة الأرز المسحورة التي يحرسها الغفريت "خبابا" أو "هواوا" التسمية السومرية التي تبعث على هيئته الرعب فلا يعرف بالضبط سبب ركوب هذه المغامرة ذلك أن بداية اللوح الثالث (الذي ورد بنصين آشوري وبابلي قديم)، ولكن من خلال القصص الأخرى التي تدور حول جلعامش يعتقد أن الباعث كان يعمل على تحقيق أعمال البطولة وأن يضع اسمه في سجل الألهة والأبطال الخالدين أو ليرفه عن صديقة أنكيكو الذي يبدو أنه سئم حياة الحضارة و حن إلى حياته الأولى في البراري.

وقد حاول شيوخ الوركاء أن يثنوا جلعامش عن ركوب تلك المخاطرة فقالوا له ومن بين ما قالوا "يا جلعامش أنت فتى وقد حملك قلبك مدى بعيد وأنت لا تعلم عاقبة ما أنت مقدم عليه أننا سمعنا خبابا بأن نيته مخيفة ولا شيء يصمد أمامه والغابة تمتد مسافات شاسعة مضاعفة في كل الجهات⁽²⁾.

ولم تمنعه تحذيرات أنكيكو وشيب الوركاء ولم يقل عزمه عن قراره ولكنهم زودوه بالأسلحة وعلاوة بالسيوف وأسدو له النصائح بأن يدع أنكيكو ويسير أمامه وطلبوا من "شمش"

¹ - تقي الدباغ و آخرون ، المرجع السابق ، ص 341 .

² - و داد الجوارني ، البنية الاجتماعية و الثقافية للمرأة في ملحمة جلعامش ، مجلة الآداب الأجنبية ، العدد 116 ، (د،م) 2003، ص62.

أن يفتح الطريق لمسراه ويمهد الجبال القديمة لكن جلعامش لم يكتف بهذه الدعوات والرعاية التي بدأها أهل الوركاء فقال لأنكيدو:

هيا يا صاحبي إلى معبد (أي كال ماخ)

إلى حضرة تسون الحكيمة

البصيرة بكل معرفة

فإن تسون الحكيمة البصيرة بكل معرفة

ستمنحننا النصح و تسدد خطانا⁽¹⁾.

وفعلت الالهة "ننسون" ما أراده جلعامش من بعد أن قدمت الصلوات وأحرقت البخور إلى الإله شمش، وبعد سفر شاق وطويل على مدخل الغابة وكان مدخلا عجيبا حيث الأشجار العالية ووجدنا عند المدخل عفريتاً عينه (خمبابا) لحراسته فقتله الصديقان وبعد المصاعب استطاعا أن يتوغلا في الغابة وشاهد من عجائبها جبل أرز أقيم فوقه عرش الآلهة⁽²⁾. (عشتار) وبينما كان جلعامش يقطع أشجار الأرز سمع خمبابا أوقع فأسه الثقيلة فغضب وصاح وزجمل وتهيأ للهجوم على الصديقين اللذين تملكهما خوف شديد فأخذ يتضرعان إلى الإله "شمش" ليمد لهما يد العون فسخرت لنجدتهما الريح العاتية، عندئذ استطاع الصديقان التغلب عليه فراح يتضرع لهما ليبقيا عليه وكاد جلعامش أن يستجيب له لكن أنكيدو أصر على قتله، عاد الصديقان إلى الوركاء بعد أن قتلا خمبابا وأقام إحتفالا كبيرا بالمناسبة ولما رأت الالهة "عشتار" البطل أعجبت به ودهشت "عشتار" الأميرة بجماله قالت له " هيا جلعامش كن زوجي امنحني ثمرتك كن قريبي و انا اصبح زوجتك" لكن جلعامش يصدها و يذكرها بضحاياه وتورد الملحمة وصفا شيقا للملاحاة بينها وبين جلعامش فذكرها بكل ما أحاط بمن أحببتهم أو حاولت ذلك فهو عازف لأن مصيره لن يختلف عن مصيرهم وهذا ما أثار غضب "عشتار" و طلبت من أبيها "أنو" وهددته بأن يخلق ثورا سماويا يهلك جلعامش وإلا فإنها ستتجه إلى العالم الأسفل فتفتحه على مصراعيه وتجعل الموتى

¹ - تقي الدباغ و آخرون ، المرجع السابق ، ص 343-344.

² - طه باقر ، (مقدمة في الأدب العراق القديم)، المرجع السابق ، ص 109 ، 110.

يقومون فيأكلون الأحياء ويصبح الأموات أكثر عدد من الأحياء أي أن تجعل المجاعة وتحرم حتى الالهة من الغذاء⁽¹⁾.

يأتي ثور السماء الذي أرسلته "عشتار" ليقتل جلجامش وهو وحش يمثل قحط السنين السبع فيغلب عليه جلجامش وأنكيدو، ويقتلانه ولما بدأت عشتار تندب ثور السماء وتصب اللعنات على مدينة أوروك قطع أنكيدو فخذ الثور السماوي وقذف به في وجه عشتار وقال لو قضيت عليه لقتتاك ولربطت أحشائه بأطرافك⁽²⁾، وصار جلجامش يخاطب وصيفات قصره وعذراي المدينة "من الأجد بين الرجال ؟ ومن الأقوى بين الأبطال ؟ فتجيبه، جلجامش الأجد بين الرجال جلجامش الأشهر بين الأبطال، يبدو أن أنكيدو وبعد مساهمته في قتل ثور السماء هيأ الأجواء كاملة فقد ساهم في قتل مخلوق أنليل (خبابا) ومخلوق "أنو" ثور السماء ولا سبيل لإيجاد العذر لعيشة أطول ويبدأ عقاب أنكيدو بالذير عن طريق الحلم وقص حلمه على صاحبه: يا صديق رأيت مجلس الآلهة (أنو إنليل وأيا شمش) السماوي قد اجتمعوا يتشاورون فقال أنو لأنليل: لأنهما قتلا الثور السماوي وقتلا خباباسيموت ذلك الواحد من الإثنين ذلك الذي قطع أشجار الأرض فأجابه أنليل أن أنكيدو هو الذي سيموت أما جلجامش فلن يموت.⁽³⁾

وقد عارض الاله شمش الحكم على أنكيدو، ولكن سرعان ما حل على أنكيدو مرض حتى الموت وأدرك قرب نهايته وأخذت تتوارد عليه الخواطر والذكريات فورد أنه جاء إلى الحياة الحضارية بل ظل بدايته وأخذ يوجه اللعنات على الصياد والبغي⁽⁴⁾، ثم إشتد به المرض وعادته أحلام مزعجة ورأى فيها صور مخيفة أرض الأموات (عالم اللارجة) الذي حرم على السكان النور حيث التراب طعامهم والطين وقوقهم وأخيرا مات أنكيدو حزن عليه جلجامش حزنا شديدا بكاه بكاء مرا ورثاه بعبارات تفيض ألما وحسرا .

¹ - تقي الدباغ و اخرون ، المرجع السابق ، ص 344- 345 .

² - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم) ، المرجع السابق ، ص 112

³ - طه باقر ، (ملحمة جلجامش) ، المرجع السابق ، ص 52 ، 53

⁴ - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم) ، المرجع السابق ، ص 114

أصغو إليها أيها الشيوخ واستمعوا قولي
من أجل أنكيد وخلي وصديقي أبكي وأنوح نواح الشكلة
إنه الفأس التي في جيبي وقوس يدي، والخنجر الذي في حزامي وقرحتي وبهجتي وكسوة
عبدي.

- لقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني⁽¹⁾.

لكن أنكيدو لم يرفع عينه فراح جلعامش يزأر حوله كالأسود وكاللبوؤة التي أختطففت منها
أشباهها وصار يروح ويحيى أمام الفراش وهو ينظر إلى أنكيدو وبدافع من حبه ووفائه لرفيق
العمر أنكيدو نادى جلعامش على ضواحي المدينة وأمرهم أن يصنعوا له تمثالا صدره من الأزور
وجسمه من الذهب ففعلوا ذلك ووضع جلعامش التمثال على منضدة وأخذ ييكي ويرثيه

على فراش المجد أرجعتك

وأجلستك على كرسي الراحة إلى يساري

كما يقل أمراء الأرض قدميك

سأجعل أهل أوروك ييكون عليك ويندبوك

وسيحزن عليك أهل الفرح والمسرون وسأجعلهم يقربون إليك

وأنا بنفسي بعد أن توسد في الثرى سأطلق شعري

وسألبس جلد الأسد أميم على وجهي في البراري

وهام علو وجهه في البرارب وصار يناجي نفسه

إذا ما مات أفلا يكون مصيري مثل أنيكدو؟

ملك الحزن والأسى روحي

و هاأنا أهيم في البراري خائفا من الموت

¹ - تقي الدباغ و آخرون ، المرجع السابق ، ص 345

والى أوتو نبشتم⁽¹⁾ أوبار توتو

أخذت الطريق وحففت الخطى إليه

هكذا لم يبق لجلجامش إلا أن يحاول الإستمرار في لعبة الوجود والبحث عن الخلود وهي التي تجعل الملحمة من أروع ما قدمه الفكر الإنساني، وشد الرحال إلى جده " أوتو نبشتم " الذي لم يمت والذي منح الخلود بعد كارثة الطوفان ليسأله عن سر الحياة والموت وكيف إستطاع أن يدخل في مجمع الألهة وينال الخلود⁽²⁾. وبعد سفر شاق طويل كان أول ما بلغه في طريقه جبلا إسمها (ماشو) وتصفها الملحمة بأنها الجبال التي تعبر من مداخلها الشمس في مسيرتها اليومية، وتحرس مجازاتها مخلوقات غريبة ذات هيئة مركبة من البشر والعقارب، يبعثون الرعب ولما أبصرهم جلجامش خاف ولكنه تشجع واقترب منهم ففطن حارس منهم أن جلجامش ثلثاه من مادة الألهة وثلثه من مادة البشر وبعد أن سأله عن القصد من عبور مجاز الجبال سمح له بالعبور من مسالكها المظلمة مسافة اثنتي عشر ساعة مضاعفة، قص لجلجامش على "أوتو نبشتم" ما حل برفيقه أنكيديو فروى له كيف أن شبح الموت صار يلاحقه منذ ذلك الحين و أنه جاء ليسأل عن سر حصوله على الخلود. وهنا يبدأ رجل الطوفان بالحديث عن قصة الطوفان الأعظم، وكيف أنه إستطاع إنقاذ نسل البشرية من الفناء بسفينة رست بعد إنتهاء الطوفان على قمة جبل إسمه تيسير، وقال "أوتونبشتم" أنه خرج من السفينة وقدم القرابين فتجمعت الالهة من حولها وأنها قررت أن تكافئه وزوجته بالخلود فصار في مصاف الالهة ولما انتهى قال جلجامش كي تنال الحياة التي تبتغي تعال أمتحنك لا تتم 6 أيام وسبع ليال⁽³⁾.

وافق جلجامش على الإختبار لكن سنة النوم تأخذه وتسلط عليه كضباب فالتفت "أوتونبشتم" إلى أمراته وخاطبها قائلاً أنظري وتألمي في هذا الرجل القوي الذي ينشد الحياة لقد

¹ - لأول مرة يرد اسم بطل الطوفان البابلي و المحتمل أن اسمه يعني بالبابلية" الذي رأى الحياة و قد ورد اسم بطل الطوفات في الروايات السومرية بإسم "زيوسدرا حاكم شروبا ك" وكاهنا ، أنظر ، طه باقر ، (ملحمة جلجامش) ، المرجع السابق ، ص 60

² - طه باقر ، (ملحمة جلجامش) ، المرجع السابق ، ص 60

³ - تقي الدباغ و آخرون ، المرجع السابق ، ص 347

أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب " أجابته زوجته وقالت: " ألمس الرجل حتى يستيقظ يعود " "أتونبشتم" حذر إمراته من الخداع الذي يعتبر من سمات البشر وأخبرها بأنه سيخدعها، فأمرها أن تخبز أرغفة من الخبز ووضعها عند رأسه وعدد الأيام التي ينام فيها وأمرها أن تشيرها على الجدار لكي يعود سالما من الطريق الذي جاء منه بسلام ليعود إلى بلاده من الباب الذي خرج منه⁽¹⁾.

هكذا فشل جلعامش في اجتياز الإختبار وعندئذ أمر "أوتونبشتم" ملاحه أن يرجع جلعامش إلى مدينته⁽²⁾.

لكن يظهر شعاع من الأمل إلى جلعامش إذ أن "أوتونبشتم" وقد حضته زوجته على الرفق بجلعامش فكشف له عن موضع " نبات الشباب الأبدى " الذي ينمو في أعماق البحر وعندما يغوص جلعامش إلى قاع البحر ويحصل على ذلك النبات العجيب ثم يشرع بالعودة إلى أروك وقد تملكه الفرح، ولكن الألهة أرادت غير ذلك أبصر جلعامش بثرا باردة الماء فورد فيها ليغتسل في ماءها وشمّت الحية شذى النبات فشلت واختطفّت النبات ثم نزعّت عنها جلدها وعند ذلك جلس جلعامش وأخذ ييكي حتى جرت دموعه على وجنته .

وهكذا فشل جلعامش في الحصول على أكسير الحياة وعاد إلى عاصمته أروك ليجدد أسوراها ويعيد لها نظارة الجمال الأول⁽³⁾.

ب- قصة الطوفان :

كانت حادثة الطوفان التي جعلها الله للناس أية نتيجة لكفر قوم نوح نبهم⁽⁴⁾ إستطاع الأدب الرافدي (السومري الأكادي و الأشوري البابلي) أن يسجل حدثها حيث شغلت مكانا بارزا في

¹ - طه باقر ، (ملحمة جلعامش) ، المرجع السابق ، ص 76

² - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم) ، المرجع السابق ، ص 124

³ - تقي الدباغ و آخرون المرجع السابق ص 347

⁴ - قال تعالى " وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعدنا للظالمين عذابا أليما " الفرقان الآية 37

الأدب الرافدي وأثاره التاريخية وقد اكتشفت ثلاثة روايات رئيسية تتشابه في خطوطها العامة وفي الكثير من تفاصيلها فالنسخة السومرية تسمى بطلها زيوسدرا وتنحصر في مصدرين هما " قائمة الملوك السومرية " و"لوح نفر" والرواية الثانية تتمثل في الرقيم الحادي عشر في ملحمة جلجامش وبطله " أوتونبشتم " والرواية الثانية وهي الأكثر تفصيلاً تعرف بقصة أترا خاسيس " نسبة إلى إسم رجل يقوم بدور مشابه لنظيره زيوسدار و" أوتونبشتم " ويكاد يكون من المؤكد أن الطوفان المذكور في النصوص المسمارية كان بحثاً تاريخياً واقعياً يرقى في زمن حدوثه إلى فترة ما قبل التاريخ وبوجه ما بين أواخر هذه العصور التاريخية في نهاية لألف الرابعة قبل الميلاد وأن أوجه الشبه ما بين وقائع الطوفان الرافدي والطوفان في مآثر بعض الأمم القديمة ولاسيما في التوراة وأن مكان ذلك الحدث كان سهول رسوبية من وادي الرافدين التي كانت ولا تزال معرضة إلى الفيضانات الكثيرة والمتكررة⁽¹⁾.

ج _ ملحمة زيوسدرا :

قصة أدبية تعرف بين الباحثين بعنوان ملحمة أو أسطورة زيوسدرا وهو إسم سومري يرجح أن يكون معناه "الخالد" أو "ذو الحياة الطويلة" وهي واحدة من أهم الأساطير القديمة على الإطلاق كانت الأساس الذي بنيت عليه أساطير الطوفان البابلية القديمة بأسرها.

قد وصلنا من مدينة " تقرر " رقيم واحد نشر لأول مرة من قبل الباحثين و لم يكن بحالة سليمة حيث كانت الأسطر السبعة والثلاثون مهشمة يأتي بعدها ما يشير إلى أن أحد الآلهة ربما (إنكي) وهو يريد أنقاذ البشرية من الدمار ثم يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الإلهين "أنو وأنليل وتنخرساح" ثم فجوة ثم نزول الملكية من السماء والأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة وبعد هذه القائمة يكون الطوفان تقرر بإجتياح سومر الأرض حيث نقرأ ما يشير إلى أن الإلهيتين(ننتو) و(انانا) تبكيان على مصير الناس القادم، لكن الإله أنكي رغم أنه اقسم في مجلس الآلهة بعدم افشاء قرار الطوفان .

¹ - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم)، المرجع السابق ، ص 173

يقرر الإتصال بالملك "زيوسدرا" فسمع زيوسدرا وهو يقف بجانبه (ياجدار أريد أن أكلمك فأستمع إلى كلماتي وأصغى إلى وصاياي سوف تكتسح الأعاصير كل المستوطنات في العواصم، إن هلاك الذرية للإنسان إن القرار الأخير، كلمة المجلس..... التي نطق بها أنو وانليل ونخرسك إلى إسقاط الملوكية الآن" (1) .

ويستمر النص بتعليمات مفصلة إلى زيوسدرا لكي يبني فلك عملاقا فينقذ نفسه بذلك من الدمار غير أن تلك النقطة مفقودة حيث توجد قطعة أخرى حوالي 40 سطر ثم يسرد النص بأن الطوفان بكل عنفوانه قد طغى بالفعل على الأرض واستمر سبعة أيام وسبعة ليال ثم ظهر إله الشمس "أوتو" مرة أخرى وفتح زيوسدرا طاقة في المركب الكبير وأسى البطل "أوتو" أشعته على المركب العملاق وسجد زيوسدرا "لنفسه امام "أوتو" وقدم قربانا له (2).

د- ملحمة أتراساس :

ملحمة بابلية مطولة نوعا ما إذ يبلغ عدد ابائها نحو من "1300" بيتا و قد عرفت لدى الباحثين بإسم "أترا حاسس" كما عنوانها البابليون بعنوان " حينما الأله مثل الإنسان " وجاءت ألينا القصيدة في عدة نسخ أقدمها يعود إلى العصر البابلي القديم حيث استنسخ زمن الملك البابلي أمي صدوق (1626-1646 ق م) كما أنا أغلبها جاء من مدينة " سبار يقول البعض بأن هذه الألواح عثر عليها مع سائر الألواح الأخرى كملحمة جلجامش بين أنقاض مكتبة الملك " أشور بانيبال" في نينوى.

ويذكر أن الكاتب الذي قام بنسخ الرقم ثلاثة التي تعود إلى العصر البابلي كان اسمه "كو-أيا" وقد صيغت هذه الملحمة تناول خلق الإنسان ليحل محل الألهة في تحمل مشاق الأعمال وتبعاتها فقام "أنليل" بانزال العقوبات وجاءه وباء وقحط عليه في العلى وجعل الإله "أدد" مطره يتزل وفي الأسفل سدت الأنهار وأوقفت تدفق المياه من العمق وانفضت الحقول غلالها ومنعت الالهة نسابا ثديها فأصبحت الحقول سوداء وسارت الحقول واسعة لا تعطي غير الملح وهكذا تمرد رحم

¹ - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم)، المرجع السابق ، ص 175

² - نفسه ، ص 186

الأرض فلم تنبت البقول ولا الحبوب وأنزلت الأمراض على الناس وظل الحال هكذا حتى أكل الناس لحم البشر ولكن أتراحاسس ظل مرة بعد مرة يتوسل إلى الإله "أيا" أن يتدخل وينقذ البشر بطريقة أو بأخرى فتدخل وعرض نفسه إلى غضب إنليل الذي صمم في هذه المرة أن تؤدي جميع الآلهة القسم لإرسال الطوفان، وتدخل إي (أنكي) مرة أخرى ينذر الرجل المفضل إليه ويطلب منه أن يهدم ويبيّن سفينة وبناء على هذه يبيّن "أتراحاسس" سفينة هائلة يحمل عليها زوجته وأسرته وغلاله وبضائعه وأملاكه فضلا عن الحيوانات والحقل وكثير من الأعشاب⁽¹⁾.

3- مفهوم الأسطورة و الملحمة و القصة :

أ- الأسطورة:

لغة: ورد في لسان العرب في مادة سطر (س ، ط ، ر) وفي قوله تعالى : « قالوا أساطير الأولين »⁽²⁾، خبر الابتداء محذوف المعنى و قالوا الذي جاء به أساطير الأولين، معناه سطره الأولون وواحد الأساطير : أسطورة كما قالوا أحداثه وأحاديث⁽³⁾ وقال كذلك: الأساطير أباطيل والأساطير أحاديث لا نظام لها مفردا إسطار وإسطارة بالكسر وأسطير وأسطيرة وأسطورة بالضم ويرى قدماء اللغويين من العرب أن الأسطورة من سطر إذا كتب، ومنه سطر الكتاب سطره سطرًا واستطره كتبه وفي الترتيل قوله تعالى: «ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون »⁽⁴⁾ وقوله تعالى: « والطور و كتاب مسطور في رق منشور»⁽⁵⁾ أي مكتوب، ولم ترد كلمة الأساطير في القرآن الكريم إلا في صيغة الجمع أو مضافة إلى لفظ الأولين، وقد وردت في تسع

¹ - تقي الدباغ و آخرون ، المرجع السابق ، ص 338

² - سورة النحل ، الآية 24.

³ - ابن منظور، لسان العرب ، ج 7 ، ط 1 ، دار صادر، بيروت ، 2003 ، ص 183.183

⁴ - سورة القلم ، الآية 01 - 02.

⁵ - سورة الطور ، الآية 01.

آيات ، منها قوله تعالى: «و قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلا»⁽¹⁾،
وعليه فإن مادة سطر توحى بمدلولات التدوين والتسجيل كما توحى بمعاني الأباطيل⁽²⁾.

اصطلاحاً: مفهوم الأسطورة ملتبس في الثقافة العربية الحديثة كما عند الثقافة الغربية،
واختلف العرب في تعريفها وتباينت مصطلحاتهم للتعبير عنها، فالأسطورة إما خرافة وأباطيل
وأحاديث لا نظام لها عند "ابن الأثير" و"الزبيدي" و"ابن منظور" وغيرهم أو هي أحاديث
عجبية كما نرى عند الزمخشري، وحتى عند مجيء عصر العلم والفتوحات، فإن الكثير من النقاد
العرب لم يكتشفوا بعد مفهوم الأسطورة، وظلوا مرتدين إلى الماضي خصوصاً أن القرآن الكريم
استخدم مصطلح الأساطير⁽³⁾ وقد حدث الإشكال في أوروبا حيث كانت دلالة مصطلح "
أسطورة" دلالة عامية قذية وفي ذلك يقول "ميرسيا إلياد" « ذلك أن اللفظ مازال يستعمله
الناس في أيامنا هذه للدلالة على الخيال والوهم »⁽⁴⁾، إن الأسطورة علم كلامي بدائي غير
مفسر تمت قولته في قالب أدبي⁽⁵⁾، الأسطورة بوصفها حكاية قدسية تستحضر مفهوم الله دوماً
تصريحاً أو تلميحاً، تصور الله على أنه موجود كامل هو في حقيقة الأمر تعبير عن رغبة في تحقيق
لمطلب، يهدف إلى أصل وليس نحو غاية أو حكماً على موجود في الخارج، فذات الله هو ذاتنا
مدفوعاً إلى الحد الأقصى، « الله المطلق هو ذاتنا نحو المطلق»، فكان هذا الحد الأقصى هو الإبداع
الأسطوري عند الإنسان، فمفهوم الأسطورة لم يتضح وبقي مراوفاً لا يكاد يستقر على أبعاد
ثابتة، يقول القديس "أوغسطين" نقلاً عن رانفين: « انني أعرف جيداً ما الأسطورة، بشرط ألا
يسألني أحد عنها، ولكن إذا سئلت، وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ »⁽⁶⁾.

¹ - سورة الفرقان ، الآية 05.

² - أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن و إعرابه ، ج 4 ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت 1988 ، ص 58.

³ - محمد أركون ، الفكر العربي ، تر: عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1983 ، ص 56 .

⁴ - ميرسيا إلياد ، ملامح من الأسطورة ، تر: حبيب كاسوحة ، منشورات الثقافة السورية ، دمشق ، 1995 ، ص 56.

⁵ - حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة - المقدمات النظرية ، ط 1 ، دار التنوير ، بيروت ، 1988 ، ص 178 .

⁶ - ك رانيف ، الأسطورة ، تر : جعفر صادق الخليلي ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت ، 1981 ، ص 09 .

يقول أصحاب علم الاجتماع، حسب كتاب ميشيل دينكن: « الأسطورة هي معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الميتافيزيقية أو أصول الكون أو المؤسسات الاجتماعية أو تاريخ شعب من الشعوب ووظيفة الأسطورة لبناء المجتمع هي تسجيل وعرض النظام الأخلاقي الذي بواسطته يمكن تنظيم وتشريع المواقف والأحداث الاجتماعية، كما يقول الأثريون حسب ميشيل دينكن: « كان الأقدمون يقصون الأساطير عوضا عن القيام بالتحليل والاستنتاج ويرون بأن الأسطورة ضرب من الشعر، ضرب من التحليل العقلي يسمو على التعليل حيث أنه ينبغي إعلان الحقيقة التي يعلن عنها »⁽¹⁾.

تعريف ألكسندر كراب وبول ريكوز حسب كتاب فرنكفورت : « الأسطورة حكاية تلعب فيها الآلهة دورا أو عدة أدوار »، أن « الأسطورة حكاية تقليدية تتعلق بأحداث وقعت في الزمن الأول ومخصصة لتأسيس الفعل الشعائري وبشكل عام تأسيس كل الأشكال والفكر من خلالها يفهم الإنسان داخل عالمه ». كما يعرفها كانط في كتاب عبد المالك مرتاض: « الأسطورة فن وعلم ودين وفلسفة، إنها مجموع الحكمة التي اكتسبها الإنسان وصاغها في قالب سردي يتحدث عن الخلق الموت، البعث، ونجد فيها الكائنات الخارقة التي هي مزيج من الألوهية والإنسانية والحيوانية »⁽²⁾ يرى الدارس عبد المالك مرتاض « أن الأساطير عند العرب أوجزت وأن الشخصية الأسطورية العربية باهتة الملامح، شاحبة البناء غامضة التمثيل »⁽³⁾.

أن الأسطورة على اعتبارها ظاهرة إنسانية ارتبطت بالوجود الإنساني ذاته واكتسبت مدلولات تعكس درجة الفكر في كل مرحلة زمنية من مراحل الوجود البشري وإذا كان علم الأساطير لم يتحدد كعلم إلا مع بداية القرن العشرين عندما نظر الفكر الإنساني إلى الأسطورة نظرة موضوعية فحدد لها موضوعا ومنهجها، فالإنسان الأول حاول أن يجسد فكره بواسطة معرفة

¹ - ميشيل دينكن ، معجم علم الاجتماع ، تر : إحسان محمد الحسن ، دار الرشيد ، بغداد 1980 ، ص 210.

² - فرنكفورت و آخرون ، ما قبل الفلسفة ، تر : جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات ، (د . م) ، 1982 ، ص 19.

³ - عبد المالك مرتاض ، الميتولوجيا عند العرب : دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1989 ، ص 88 .

أولية، لم تعزله الأسطورة عن فكره ومشاعره ووجدانه دون أن تتحول إلى موضوع، ذلك أن تفكيره لم يكن يسمح له بعزل الظواهر حتى يدركها إدراكا عقليا إذ لم يكن يفصل بين حدسه واستدلاله البسيط، فالإنسان البدائي الذي حاول أن يفسر الظواهر الطبيعية التي بسطت سلطانها عليه أنشأ فكرة مجردة فتحوّلت إلى موضوع خارجي وفق التسلسل التالي: الوعي الانفعالي الذي يحكم علاقات الإنسان بوسطه الطبيعي (البيئة) هذا الشعور الواعي أو الوعي الانفعالي يؤدي إلى تكوين الأفكار فتتراكم وتتكاثر وتنظم كلما اتسع الوعي في عمليات التجارب مع الخارج، يجد الإنسان نفسه مع تراكم الأفكار في ذهنه مضطرا إلى وضع معان لها بواسطة اللغة والصورة ثم ما تبع ذلك من دلالات خارج المعنى المباشر⁽¹⁾ «إن الأسطورة انتقلت من قسم الخرافة إلى آفاق العلم وأصبح للأساطير علم يعرف بالميثولوجيا، له علماءه ومؤلفاته، ومؤتمراته، وأنصاره إذ يتمثل في الأسطورة محاولا إدراكها وفهمها»⁽²⁾.

لا شك أن الباحثين العرب والمعاصرين استندوا في تفسير مفهوم الأسطورة الى مصادر عدة منها القرآن الكريم، وكتب التفسير والمعاجم القديمة، وكذلك الدراسات الأجنبية السابقة منطلقين من تفسيراتهم من روح المجتمع العربي، وما فيه من سمات وصفات تميزه عن بقية المجتمعات، لعل دراسة بعض الباحثين كانتهي الرائدة في هذا المجال إذ أن "دراسة الأسطورة هي دراسة كل ما سطر عند الجاهليين تاريخيا أو دينيا " لأنه لم يكن قد وجد في العصر الذي نسميه عصر توليد الأساطير ذلك التعريف الحديث فالعلم كان محدودا وممتزجا بالدين لأن الأسطورة صورة من صور الفكر البدائي حسبما كانت مسطرة أو مطبوعة من ألواح الأذهان أما شأن تحديد مفهوم الأسطورة العربية فيقول " إذ أردنا أن نبحث عن أسطورة عربية خالصة فيجب أن نبحثها من وجهة صناعة العرب اللفظية والمنطقية"⁽³⁾ فمفهوم الأسطورة برأيه عبارة عن تفسير علاقة الانسان بالكائنات

1 - فراس السواح ،(الأسطورة والمعنى)، المرجع السابق ، ص 19- 20 .

² - بشير زهدي ، مقدمة في الميثولوجيا ، مجلة المعرفة ، العدد 197 ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، يوليو ، 1978 ، ص34.

³ - أحمد اسماعيل النعيمي ، الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام ، ط1 ، سينا للنشر ، القاهرة ، 1995 ، ص ص31 - 29.

وهذا التفسير هو آراء الانسان فيما يشاهد حوله من حالة البداوة فهي الدين والتاريخ والفلسفة جميعا عند القدماء وهي ليست فكرة مبتدئة أو خاطئة بل إنها فكرة بدوية صبغت بصيغة الإطناب والمغالاة، وهذه الدراسات الجديرة بالاهتمام والمتضمنة آراء تفصح عن الفرق بين مفهوم الأسطورة العربي وغيره " لعل امتناعنا عن البحث في الميثولوجيا ناتج عن الظن بأن الميثولوجيا هي وقف على العلاقات بين الآلهة والأبطال من زواج وحروب كما عند الاغريق وأن كان عند العرب ما يشبه ذلك ليس كل ما تعطيه الميثولوجيا من معان " فهي علم يبحث في أساطير التكوين والآلهة والأبطال وهي كلمة تطلق على هذه الساطير نفسها، كما تعرف عند البعض بأنها " حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها فالأسطورة موضوع اعتقاد⁽¹⁾

يبدو أن مفهوم الاسطورة، بالرغم من الدراسات الكثيرة حوله يبقى غامضا ومعقد أو متشابكا في دلالاته وأبعاده ويحتاج إلى المزيد من البحث والإستقصاء لتحديد مصطلح دقيق وكأداة معرفية لها قسماتها الخاصة التي تسمها عن غيرها⁽²⁾.

تشير الدلائل إلى أن دراسة الغربيين للأساطير لم تصبح دراسة علمية إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، اذ كانت أولى الدراسات التي ظهرت عام 1871 دراسة (ادوارد بيرنت تايلور) الموسوعة الثقافية البدائية " ثم أعقبتها دراسة (روبرستون سميث) وعنوانها " دين الساميين " وذلك في عام 1889 ثم دراسة (جيمس فريزر) كتابه " الغصن الذهبي "، ثم اخذت الدراسات ترى حتى ظهر فرع جديد من فروع هذا العلم (علم الأساطير العام) وعلم الأساطير المقارن، يعرف (جيمس فريزر) الأسطورة " أن الأسطورة كانت تمثل كوسيلة للإيجاد الفعلي

¹ - أحمد إسماعيل النعيمي، المرجع السابق، ص 28.

² - محمد عبد الرحمن يونس، الاسطورة مصادرها و بعض المظاهر السلبية في توظيفها، ط1، دار الالمية (د.م)، 2014، ص 31.

للاحداث التي نصفها بلغة تمثيلية وكثيرا ما تموت الإحتفالات بينما تظل الأساطير حية ⁽¹⁾، فيبقى علينا أن نستنتج لاحتفال الميت من الأسطورة الحية "

كما يرى أيضا أن الأسطورة قد أستمدت من الطقوس فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين، وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته يبدو الطقس خاليا من المعنى، يرى (جين هاريسون) أن الأسطورة عندنا الآن قصة خيالية صرف فحينما تقول أن شيئا ما اسطوري فنحن نعني أنه لا وجود له و قد بعدنا بذلك عن التفكير القديم والشعور القديم فالاسطورة كانت عند الرجل اليوناني أولا وبالذات شيئا يقال أو ينطق بالفم ومضادها، كما تعرف بالتأملات أو التفسيرات، كما أن لها شأن بالحقائق التاريخية، فهي على التحديد لاتغدو أن تكون الا أن تشكل، شكل الكلمات المرتبطة بطقوس معينة، كما يعرفها ارنست كاسبرر علينا أن نبدأ بالطقوس إذ أردنا فهم الأساطير "، على الرغم من تعدد الآراء وتباينها في نشأة الأسطورة وبواعثها إلا أن أرجحها من يرى بأن الأسطورة انبثقت من الطقوس (اولا) ثم غدت قصة تقليدية تقص علينا بواعث الطقوس التي نكون عادة خلفها آلهة وانصاف آلهة او قوى خارقة (ثانيا) دون حقيقة " موت الطقس " أو بعثه في مواسم بعينها ⁽²⁾ .

ب- الملحمة:

لغة: معنى لَحْمُ في " لسان العرب " لحم الشيء ليه ولحم بالكسر اشتهى اللحم ورجل لحيم ولحم كثير لحم الجسد والملحمة الواقعة العظيمة القتل وقيل موضع القتال وألحمت القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحما وألحِم الرجل إلحاما وأستلحم إستلحاما إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا وألحمه غيره فيها وألحمه القتال، وفي الحديث : "اليوم يوم الملحمة " و في حديث آخر : " ويجتمعون للملحمة "هي الحرب وموضع القتال والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس

¹ - احمد اسماعيل النعيمي ، المرجع السابق، ص 31 .

² - نفسه، ص 29.

واختلاطهم فيها كاشتباك لُحمة الثوب بالسدى وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، وألحمت الحرب، فالتحمت والملحمة القتال⁽¹⁾.

وفي "المعجم الوسيط" معنى لحم في الشيء لحما يقال ألحم الصائغ الذهب والفضة، والأمر أحكمه وأصلحه والعظم لحما نزع عنه اللحم، والقوم : أطعمهم اللحم، فهو لاحم (لَحِمٌ) بالمكان — لحما نشب والرجل : انتهى اللحم وقرم إليه، وأكل منه كثيرا فشكا عنه فهو لحم، وفلان لحامة : كثر لحم بدنه — فهو لحيم، والملحمة الحرب الشديدة وموضعها، وعمل قصصي له قواعد وأصول يشاد فيه بذكر الأبطال والملوك والآلهة الوثنيين، ويقوم على الخوارق والأساطير، وقد يكون شعرا كالإلياذة لدى الإغريق والشهنامة عند الفرس، وقد يكون نثرا كسيرة عنترة بن شداد⁽²⁾.

اصطلاحاً: الملحمة في "الموسوعة العربية العالمية" هي قصيدة قصصية طويلة تدور حول بطولات فائقة لأشخاص غير عاديين في الحرب أو في السفر كما تعرف على أنها رواية شعرية طويلة تدور حول البطولات والمواقف الجلييلة في جو من الخوارق تهدف إلى غاية قومية أو إنسانية فالملحمة من الفنون القصصية وما الشاعر إلا شاهد لما يروي وبالتالي⁽³⁾ فهي موضوعية لا ذاتية وهي شعرية لأنها تروي خوارق من صنع الخيال وهذا العالم الخيالي لا يشاد بالشعر، وهي رواية طويلة لأن أحداثها ممتدة عبر التاريخ، تتناول الحروب بين الشعوب والأمم فهي خلاصة تراث الشعوب وأجنادها القومية، وهي صلة الماضي بالحاضر ورباط الروح الوطنية بين أفراد الأمة حتى قال بعضهم: «إن أمة خالية من الملاحم هي أمة بلا روح ولا مثل عليها ولا تاريخ» فهي سجل لعقائد الأمة ونزعاتها وأخلاقها وهي روح الشعب وفكر الأمة، وهي ذات نزعة إنسانية لأنها تعنى بالشرف والتفوق في عالم الحرية والتعالي، ففي كثير من الملاحم الشعرية الأسطورية قد يكون البطل حسب اعتقادهم، الوثنية نصف إله أي متولد من إله طبقا لما يؤمنون به من خرافات،

¹ - ابن منظور، المرجع السابق، ج13، ص 183.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص 819.

³ - عبد الحكيم شوقي، السير و الملاحم الشعبية العربية، دار الحداثة، بيروت، (د. ت) ص 75، 76.

فالملاحمة نوع من القصائد المطولة القصصية مثل أرجوزة ابن المعتز في الخليفة العباسي المعتضد، وأرجوزة ابن عبد ربه في الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر، الذي كان من أقوى الشخصيات التي مرت على الأندلس، وكان عهده عهد قوة واستقرار، وقد وصف ابن عبد ربه في أرجوزته هذه بطولة الناصر وانتصاراته في حروبه، وجاءت في خمسمائة وخمسين بيتا وقال عنها أحد الأدباء: «إني لأعدها ملحمة صغرى، وقد عرفت الملحمة بأنها قصيدة تصف المعارك الحربية بأسلوب قصصي موضوعي مصور، وصفات الملحمة هي: "الضخامة": ضخامة الحجم وضخامة الأحداث معا لا بد من حرب ضروس وصراعات بين بلدان تمتد لعقود وأحداث مثيرة، "وحدة الحدث": عقدة واحدة مهما تفرعت الحبكات الفرعية "البطولة" وراء الواقع أو فوق الواقع، أكبر من الواقع "الخرافة" تقوم على بحر الإدهاش وتمتلى بالمبالغات «البحر السداسي أو البدء من النصف و العودة إلى الماضي و نقطة البداية و غيرها»⁽¹⁾.

ج-الفرق بين الاسطورة و الملحمة :

تعد الملحمة من أكثر الأنساق المعرفية قربا من الأسطورة و تداخلها معها، لذلك كان الخلط بينهما أمرا متكررا ، لأن الحدود التي تفرق بين الأسطورة و الملحمة عسوية عن التحديد ، و هذا ما جعل محاولة الفصل بينهما أمرا عسيرا ، تعرف الملحمة بأنها قصيدة طويلة موضوعها البطولة ، تقوم بسرد مآثر بطل حقيقي أو أسطوري تتجسد فيه المثل ، وهي حدث تاريخي خاص⁽²⁾ . أي أنها بالدرجة الأولى عبارة عن تأليف شعري عالي المستوى ، يقص سلسلة من الأعمال و منجزات أحد الأبطال تجري معالجتها بإطالة و تفصيل ،على شكل نص مضطرد⁽³⁾ ، تتميز بكونها تمتلك تحديدا تاريخيا ، فمن الممكن تحديد المكان الذي حدثت فيه هذه الملحمة أو تلك ، كما أن العنصر الرئيسي فيها هم الأبطال ، و غالبا ما يكونون من البشر ، و يعدون صلة الوصل ما بين عالم الآلهة و عالم الإنسان اتخذت الملحمة شكل الخيال الشعري ، هدفها : تفسير أصول الأشياء و مظاهر

1 - محمد مندور ، الأدب و فنونه ، ط 5 ، دار النهضة ، مصر ، 2006 ، ص 13.

2 - سعيد علوش ، المصطلحات الأدبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، (د ، ت) ، ص 118 .

3 - فراس السواح ، (الاسطورة و المعنى) ، المرجع السابق ، ص 12.

الكون ، معتمدة في ذلك على شخصية البطل ، لذلك توصف بالفردية و حتى يصبح البطل بطلا لابد من أن يجابه قوة تفوقه قدرة ، ومن هنا كان الصراع بين الخير و الشر هو الجوهر الرئيسي للملحمة وهذا ما يجعل بين الحقيقة و الخيال حدودا وهمية ، تختلط فيها الأطراف جميعا ، إذا تخصص الملحمة بكونها سردا شعريا لحدث تاريخي محورها بطل فردي تتميز بالإطالة ، وجوهرها الرئيسي الذي يفصلها عن سواها هو الصراع بينها وبين الأسطورة و إن اعتمدت على الصياغة الشعرية ، إلا أنها لا تقوم على محور فردي و لا تنقل حدثا ، ولا يعد الصراع ركنا أساسيا من أركانها ⁽¹⁾ ان أبطال الأسطورة هم من الآلهة أما أبطال الملحمة فهم من البشر .

د- القصة

لغة: جاء في " لسان العرب " : القص فعل القاص إذا قص القصص ، و القصة معروفة ، و يقال في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام أو نحوه يقال قصصت الشيء إذا اتبعت أثره شيئا فشيئا ، و القصة ، الخبر ، و هو القصص ، وقص علي خبره يقصه قصا و قصصا أورده ، و القصص الخبر المقصوص بالفتح و القصص : بكسر القاف جمع ، القصة التي تكتب ، و القاص : الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتبع معانيها و ألفاظها و أصل القصص عند العرب ، تتبع الأثر فالعالم بالآثار يسير وراء من يريد معرفة خبره ، و تتبع أثره حتى ينتهي إلى موضعه الذي حل فيه ⁽²⁾ .

اصطلاحا: تعرف القصة بأنها « عمل فني يمنح الشعور بالمتعة و البهجة ، كما يتميز بالقدرة على جذب الانتباه ، و إثارة الخيال ، و قد تتضمن غرضا أخلاقيا أو لغويا ، أو ترويحيا ، و قد تشمل هذه الأغراض كلها أو بعضها » ⁽³⁾ يعرفها " طه حسين " حسب كتاب عمر سليمان الأشقر : « هي كل فن قولي درامي يتضمن أحداثا تكشف عن صراع تحمله شخصيات ، و هي تحقق للمتلقي قي النهاية متعة جمالية و انفعالية ، كما تحقق له متعة مباشرة من خلال ما تتضمنه من

1 - طه باقر ، (مقدمة في أدب العراق القديم)، المرجع السابق، ص 99 .

2 - ابن منظور ، المرجع السابق، ج 12، ص 121.

3 - حرب طلال ، أولية النص : نظرات في النقد و القصة و الأسطورة و الأدب الشعبي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و

النشر ، (د . م) ، 1999 ، ص 110 .

تجارب حياتية ذات هدف أخلاقي أو عقائدي ، يأتي تلميحا أو تصويرا لا تقريراً من خلال تتبع العمل » ، كما يذكر " يوسف إدريسي " حسب ماورد في كتاب سليمان الأشقر : « القصة القصيرة مثل الرصاصة تنطلق نحو هدفها مباشرة » ، كما عرف بعض النقاد القصة بأنها : مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب و هي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية تتباين أساليب عيشها و تصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض و يكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير و التأثير⁽¹⁾.

و كتعريف إجرائي للقصة : « هي شكل فني من أشكال الأدب الشيق فيه جمال و متعة »⁽²⁾ « هي طريقة تعبر عن الحياة ، أو بعض منها ، و كذلك لواقعة واحدة أو عدد من الوقائع ، يكون بينها ترابط على أن يكون للقصة بداية و نهاية »⁽³⁾ ، نجد فريقا يشيد بالظاهرة القصصية في الشعر و يعدها مظهرا من مظاهر الإبداع في تقمص شخصيات الآخرين و انفعالاتهم و وعيا دقيقا بتطور الأحداث و اختيار نهايتها، فالإجادة فيها إجادة مضاعفة ، لأنها تجمع بين جنسين أدبيين هما القصة و الشعر فنقول : أن القصة الشعرية تجمع بين شكلين لكل منهما أهمية كبرى في الأدب و إذا كان الشعر يصور جانب الحياة كما تنعكس على نفس الشاعر فيوحي بها.⁽⁴⁾

هـ- الفرق بين الاسطورة و القصة :

إن القصة تمخضت بالتدرج عن الحكاية أو الاسطورة ، فهي بالتالي في أصلها أسطورة محدثة فضلا عن وجود تماثلات واضحة و راسخة بين القصة و الأسطورة منها وجود تماثل واضح بين الشعر و القصة القصيرة ، و هذا التماثل يجد ذاته يمد جذوره إلى عوالم خفية تحيل القصة القصيرة المظلمة المكثفة إلى فضاءات شاعرية مفعمة بالدلالة ، فوجود تماثل بين الأحلام و الرؤى و الأسرار و القصة القصيرة « الحكاية السردية » لأن القصة القصيرة تكشف عن هواجس خفية عميقة

1 - عمر سليمان الأشقر ، صحيح القصص النبوي ، ط7 ، دار النفائس ، عمان ، 2007 ، ص 12 .

2 - نجيب أحمد ، المضمون في أدب الأطفال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1979 ، ص 64 .

3 - الموصفي محمد علي ، في التربية الاسلامية بحوث و دراسات ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1986 ، ص 29.

4 - حرب طلال ، المرجع السابق ، ص 111 .

بمساحة كتابية محدودة ، فهي تكشف للواقع ، و نقد و تحليل و كشف للجانب المظلم فيه و لهذا فإنها تكشف عن توجهات نقدية كان لها وقعها في إشاعة النقد الأسطوري ، إن القصة تقدم للقارئ لمحة أو إشارة مقتضبة أو إحالة رمزية تقربه من الأسطورة الرمزية في توجهاتها ، إن القصة تسمح بتراسل خفي أو شبه معلن بين هذه الفنون بوضوح ، أصبحت الأسطورة من أبرز هذه المصادر ، و التي ظهرت في الخطاب القصصي الجديد كونها تجسد نقل الأسطورة إلى المتن القصصي أما الكتابة القصصية المؤسطرة فهي تخضع لرؤى كاتب حر لا يدع مجالا لوصايا مرجعية أو تاريخية أو وصاية عن المتغير و اللحظة الراهنة ⁽¹⁾ في عودة إلى ما دعاه المنهج الأسطوري بالنقد والذي يهتم بدراسة تأثير الأسطورة على العمل الأدبي و اكتشاف أهميته و مرجعيته في النصوص القصصية المعاصرة في إحالة لما عرف بالنص الغالب ، و الذي يختص بالأعمال الأخرى لأنه لم ينشأ من لا شيء تداخلت فيه مكونات أدبية و ثقافية متنوعة، ⁽²⁾ مما يفتح المجال أمامه لتبني مصطلح " النص " الذي يمكن من دمج الأسطورة فيه بالقصة القصيرة و هو يطرح العديد من الأسئلة حول حجم أو مساحة القصة القصيرة و زمن قراءتها و قدرتها على التعبير الأسطوري التي تتعلق بسؤالها الوجودي القديم اندفعت للتعبير عن ذاتها من خلال ذلك السؤال المثير عبر القصة القصيرة التي كانت و لم تزل صورة حية لأدب النهايات المقلقة و هي التي تجد أكثر الأشياء تحسسا بالنهاية وقراء القصة القصيرة هم أكثر القراءة تحسسا بالنهاية ⁽³⁾

4-أنواع الأسطورة وخصائصها:

أ - الأنواع :

نظر جل الدارسين الذين تعاملوا مع الأسطورة من حيث التعرف إليها من زوايا مختلفة ، أي حسب التكوين و التخصص ، لذا لا نجد نوعا واحدا من الأساطير ، بل تنوعت و تفرعت ، و قد قسمها " أحمد كمال زكي " إلى أربعة أنواع :

- 1 - فرج ياسين ، أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية الحديثة ، ط1، دار الثقافة العامة ، بغداد ، 2010 ، ص 30.
- 2 - محمد عزام ، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي ، منشورات إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص 09 .
- 3 - سوزان لوهافر ، الإعتراف بالقصة القصيرة ، تر محمد نجيب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1990 ، ص 105.

-**الأسطورة الطقسية** : ارتبطت أصلاً بعمليات العبادة و الطقوس ، قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس ، كأسطورة " أوزوريس " في مصر و الطقوس التابعة لها .

-**الأسطورة التعليلية** : ظهر هذا النوع بعد ظهور فكرة وجود كائنات روحية خفية مقابل ما هو كائن من تلك الظواهر الطبيعية كالرعد ، و انفجار البراكين، و ظهرت تفسيرات و تعليلات عديدة حول الظواهر.

-**الأسطورة الرمزية**: هي قريبة من الأسطورة التعليلية تعبر عن فكرة دينية أو كونية .

-**الأسطورة التاريخية**: هي تاريخ وخرافة معا، أي أنها حكاية تنتقل من جيل الى جيل وتتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق، كحكاية " داحس و الغبراء " عند العرب و " حرب طروادة " في التراث الإغريقي ، و ملحمة "جلجامش" عند السومريين ⁽¹⁾ .

-**أسطورة البطل المؤله**:البطل في هذا النوع مزيج من الانسان و الآلهة مهمته تنظيم الكون ، و المحافظة على الظواهر الطبيعية التي تعود على الانسان بالخير و له صفات يحاول من خلالها الوصول الى مصاف الآلهة مثال : ملحمة البطل جلجامش التي تعد اسطورة تاريخية فالبطل له قوة خارقة توصله الى مصاف الآلهة الا أن الصفات الانسانية تعيقه و تحاول شدة الى الأرض و ان أبطال الملاحم العالمية أمثال رستم عند الفرس و أنكي دو عند البابليين و هرقل عند الاغريق هم أصحاب خوارق فصوروهم بأنصاف آلهة يستمدون قواهم من السماء و صوروا أبطالاً خارقين تتمثل فيهم مظاهر القوة و الجبروت عند الآلهة ، ان آلهة الأساطير التي تجمع حولها الخيال و الزمن السحيق في القدم فضخمهم و حور أشكالهم حتى خلع عليهم صفة القداسة ان البطل في الاسطورة بطل موضوعي من الناحية التاريخية ، ان الاسطورة هي تجسيم للعناصر الكونية

و ان هذه الفكرة هي بدايات الفكر الديني حيث كان الملك في الشرق القديم ممثلاً للآلهة و انه كان محور العبادة و أصبح مسؤولاً عن مصير الكون و تطور هذا المفهوم فيما بعد الى فكرة

المخلص عند الايرانيين و المسيا⁽¹⁾ عند اليهود و المهدي المنتظر عند المسلمين . انأسطورة البطل المؤله لعبت دورا أساسيا في التاريخ البشري و هي تعد ظاهرة نبوة بالغياب عن البشر متعددة في حضارات الشعوب . ان الفكر الاسطوري القائم على أساس غيبي لاعقلاني صريح له منطقه المختلف تماما عن الفكر الموضوعي و ان لهذه الاسطورة مستلزمات غيبية تستند اليها في الواقع و تنعكس بواسطتها على المجتمع و على السلوك السياسي لذا نلاحظ بأن العرب قبل الاسلام كانوا يجمعون بين الرمز الاسطوري و الرمز السياسي أو الاجتماعي و كانوا يستعينون بالبداوة على الحضارة و الدين او الاسطورة على السياسة⁽²⁾ .

يدل تعدد أنواع الأساطير على تقاطع عدة حقول معرفية في دراسة الأسطورة حيث قسم جل الباحثين الأسطورة إلى أقسام عديدة ، منها مايلي :

1 - الأسطورة الدينية : كل الأساطير مأخوذة من الكتاب المقدس مع الاعتراف بالتحريف و التغيير و تغيرت الأسماء الأسطورية الأصلية إلى أسماء أخرى .

2 - الأسطورة التاريخية : يعتقد أن أعلام الأساطير عاشوا حقيقة و لكن مع الأيام أضيفت إليهم من خيال الشعراء و الشعوب ، أعمال عجيبة .

3 - الأسطورة المجازية : يري أن كل الأساطير القديمة هي مجرد مجازات فهمت حرفيا⁽³⁾

4 - الأسطورة الطبيعية : يوجد وراء كل ظاهرة طبيعية كائن روحي معين⁽⁴⁾ ، تتكون

الأسطورة عند الدكتور "نبيلة إبراهيم" إضافة إلى الأسطورة الطقوسية و التعليلية أسطورة تكوين الكون ، و الأسطورة الرمزية ، و أسطورة البطل الإله ، الذي يكون مزيجا من الإنسان و الإله .

¹ -المسيا : المسيح الحقيقي عند اليهود - اسمه المسيا - لم يظهر بعد وهم يعيشون على رجاء ظهوره يوما ما لانه هو الذي سيحمل معه وعد الخلاص من التشتت الذي ارادوا فيه و امل تحقق الحلم القديم بالعودة الى ارض الميعاد و استيعاد المجد المندثر ثم سيادة العالم من جديد و ان للمسيا مفهومين الاول : روحي المعروف عند اليهود مسيا بن داود ، و الثاني : المحارب ، البطل العسكري الذي سيقهر ببأسه الشديد اعداء اليهود . انظر : جرجس صبري ، التراث اليهودي الصهيوني و الفكر الفرويدي ، ط 1، مطبعة مخيم ، القاهرة ، 1970 ، ص 305 .

² - فضيلة عبد الرحمن حسين ، فكرة الاسطورة و كتابة التاريخ ، دار اليازوري العلمية ، عمان ، 2009 ، ص 40 ، 41 .
3 - نفسه ، ص 58 .

4 - أحمد كمال زكي ، المرجع السابق ، ص 58 .

أن تفكير الإنسان لا ينحصر في الأجواء السماوية ، و في الظواهر الكونية وإنما يتعداها إلى العالم الأرضي ، عالم الإنسان أو عالم الأموات⁽¹⁾.

ب - خصائص الأسطورة :

- من حيث الشكل : الأسطورة هي قصة ، و تحكمها مبادئ السرد القصصي من حكاية و عقدة و شخصيات ، و غالبا ما تجري صياغتها في قالب شعري يساعدها على المنافسة و تداولها شفاهة كما يزودها بتأثير على العواطف و القلوب ، وهذا ما لا يتمتع به ، النص النثري ، يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن و تتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيجابية بالنسبة إلى الجماعة فالأسطورة السومرية مثلا هبوط "انانا إلى العالم الأسفل" و التي دونت كتابتها خلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد و استمرت في صياغتها وتدوينها لكتابة الوقائع والأحداث التاريخية لدى الحضارات القديمة ، وذلك من أجل المطابقة والمقارنة حيث تعود المطابقة في الأصل السومري إلى أواسط الألف الأولى قبل الميلاد ، غير أن خاصية الثبات هذه لا تعني الجمود أو التحجر ، لأن الفكر الأسطوري يتابع على الدوام أساطير جديدة ، لا يعرف للأسطورة مؤلف معين لأنها ليست نتاج خيال فردي، بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة و عواطفها وتأملاتها لا تمنع هذه الخاصية للأسطورة من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفوقة، تطبع أساطير الجماعة بطابعها، وتحدث انعطافا دينيا جذريا في بعض الأحيان، يلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكتملا لا رئيسيا، تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية، وذلك مثل التكوين والأصول والموت⁽²⁾ والعالم الآخر، ومعنى الحياة وسر الوجود، إن هم الأسطورة والفلسفة واحدة لكنهما يختلفان في طريقة تناول والتعبير، بينما تلجأ الفلسفة في المحاكمة العقلية الذهنية كأدوات لها، فإن الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطفة والرميز وتستخدم الصور الحية المتحركة. تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي ومع ذلك

1 - نبيلة إبراهيم. أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب ، القاهرة (د،م) ص 23 .

2 - فراس السواح ،(الأسطورة و المعنى) ، المرجع السابق ، ص 12 .

فإن مضامينها أكثر صدقا وحقيقة، فالأسطورة لا تقص عن ما جري في الماضي وانتهى بل عن أمر ماثل أبدا لا يتحول الى الماضي، ففعل الخلق الذي تم في الأزمنة مضت يتجدد في كل عام ويجدد معه الكون وحياة الإنسان. اتخذ السومريون من حادثة الطوفان التي أبلغت عنها الأسطورة، نقطة في التاريخ يؤرخون بها لما حدث قبلها وما حدث بعدها، ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه، فهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الديني، وتتحول إلى حكاية دينية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة، تتمتع الأسطورة بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم.⁽¹⁾

ويضيف صالح بن حمادي خاصية أخرى هي اتخاذ الأساطير شكل الأخبار التي تفسر أصل بعض الأشياء وعلة ظهورها في الوجود إضافة إلى أن أهم الخصائص التي تحدد ماهية الأسطورة وهي الخاصية السردية المعتمد بحقيقتها والمتصلة بمنظومة ثقافية محددة سرعان ما يتحول الإيمان المطلق إلى ممارسة، فعرف جماعي يتخذ طابع القداسة إلى جانب أهم خاصية متمثلة في تفسير الأسطورة لظاهرة م⁽²⁾.

كما أن بطل الأسطورة حالما يخضع إلى تحولات سحرية ويقوم بالخوارق وكلها ليست سوى انعكاس لرغبات وأمان مكبوتة تنطلق بعيدا عن رقابة الوعي ولذلك تمتلئ بالرموز التي لو تمكنا من تفسيرها لزودتنا بفهم عميق لنفس الإنسان ورغباته فالأسطورة تصف حقائق تاريخية، ورموز لحقائق فلسفية، دائمة وانعكاسات لعملية طبيعية مرة بعد أخرى لسيرورة لا تتوقف⁽³⁾.

وأخيرا في ختام هذا الفصل يتبين أن الأسطورة ظاهرة من أهم ظواهر الثقافة الإنسانية، يعد تحديد مفهومها وضبط تعريفها أول عائق معرفي، يواجه الباحث في علم الأساطير ويعود ذلك إلى الظواهر الأخرى الشبيهة بها والمتداخلة معها كالملاحمة والقصة، هذا التداخل الذي يجعل التمييز

1 - فراس السواح، (الأسطورة و المعنى)، المرجع السابق، ص 13-14.

2 - صالح بن حمادي، دراسات في الأساطير و المعتقدات الغيبية، ط 1، دار بوسلامة، تونس، 1983، ص 14

3 - سيد القمني، الأسطورة والتراث، ط 3، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، 1999، ص 32.

بينها أمرا صعبا، إضافة إلى تعدد الاختصاصات التي تهتم بالأسطورة حيث، تلتقي في مجالها حقول معرفية متنوعة كعلم النفس والأدب الخ

كما أنه لا يوجد نوع واحد من الأساطير بل تنوعت وتفرعت، أي حسب التكوين والتخصص، كما أن إدراك ماهية الظاهرة معناه تحديد خصائصها الجوهرية التي تميزها عن غيرها من الظواهر فهذه الخصائص تجعل مفهوم الظاهرة ينطبق عليها، فتداخلها مع الظواهر الأخرى، يجعل من الضروري تمييز الأسطورة تمييزا نوعيا، من خلال تفكيك الخصائص العرضية المشتركة مع بقية الأجناس الأخرى .



الفصل الثاني

أنشطة الفهم السريعة

إذا عدنا إلى خريطة الشرق الأدنى و تتبعنا المجرى المشترك المكون من نهري دجلة و الفرات من مصبه في الخليج العربي إلى أن ينفصل المجرى (عند بلدة القرنة الحديثة) ثم تتبعنا نهر الفرات متجهين إلى الغرب وجدنا في شماله و جنوبه المدن السومرية القديمة المطمورة و هي أريدو (أبو شهرين الحديثة) ، و أور (المقيبر الحديثة) ، و أوروك (و هي المعروفة باسم الوركاء) و لارسا (المسماة في التوراة باسم إلسار والمعروفة الآن باسم سنكرة) ولكش (سيرة الحديثة) و نيبور نفر⁽¹⁾ ، وقد استوطن الإنسان في بلاد سومر التي أصبحت تعرف بهذا الاسم في الألف الخامس قبل الميلاد ، حوالي 4500 قبل الميلاد. غير أن القوم الذين استوطنوها أول مرة لم يكونوا سومريين ، بل قوم عرفوا في علم الآثار ب (دور العبيد) يعتبرون أول المزارعين الذين أسسوا عددا من القرى و المدن في هذه البلاد ، أما السومريون أنفسهم فلعلهم لم يقدموا إلى بلاد سومر إلا في الربع الأخير من الألفية الرابعة قبل الميلاد ، وليس في وسعنا ، رغم ما قام به العلماء من بحوث أن نعرف إلى أي سلالة من السلالات البشرية ينتمي هؤلاء السومريون ، أو أي طريق سلكوه حتى دخلوا بلاد سومر ، ومجتمع كمجتمع سومر بسطت فيه الديانات الوضعية نفوذها لابد و أن تتعدد فيه الآلهة ، حتى أنه كان لهذه الآلهة مجلس يجمعهم يسمى « الأنوناكي » يجتمعون فيه و يقررون المصائر ، و سوف نبدأ بعرض أساطير الخلق السومرية⁽²⁾ حيث كانت أول إشارات الخلق هي السيطرة على الماء و اكتشاف الري ، ولم يكن هناك خشب فاستعملوا القصب ، ولم يكن هناك معادن فصنعوا من الطين المحروق القدور و الأواني و الجرار و الطابوق و ألواح الكتابة ، قالب الآجر ، دولا ب الفخار ، عجلة العربة ، كل هذه كانت مشاغلهم اليومية⁽³⁾.

1- ول و ايرل ديو رانت ، قصة الحضارة الشرق الأدنى ، تر : محمد بدران ، ج2 ، مج1 ، دار الجليل ، بيروت ، (د . ت) ص 22 .

2- صلاح أبو السعود ، أساطير سومر و بابل ، ط1 ، دار مشارق ، الحيزة ، 2009 ، ص 05-09 .

3- خزعل الماجدي ، متون سومر ، ج1 : التاريخ - الميثولوجيا - اللاهوت - الطقوس ، ط 1 ، الأهلية للنشر ، عمان ، 1998 ، ص 17-18 .

I- الآلهة المسؤولة عن الخلق:

هي الآلهة البدائية التي تشكل منها الكون ، و هي قديمة و أزلية قي الوقت نفسه لأن أجسادها تشكل مادة الكون و العالم وهذه الآلهة هي :

- الآلهة الام نمو (نامو) و هي الآلهة السومرية الأولى و تمثل البحر الأول الهيوالي الذي خرجت منه آلهة كل شيء .

- أن . كي (An - ki) و هو جيل الكون الأول الذي يتضمن السماء و الأرض الذي خرج منه البحر الأول ،⁽¹⁾ و هي التي كونت الكون و العالم ، ثم كونت الحياة و هي آلهة المصائر الكبرى في التصنيف السومري و هي (أن . كي ، إنليل ، إنكي) و تقابل (السماء ، الأرض ، الهواء ، و الماء) . انظر الملحق رقم 1 ص 96

1- آن - أنوم - أنو (An - Anum - Anu)

إله السماء ، كان يعتبره السومريون الحاكم الأعلى في مجموعة الآلهة ، كانت الدولة المدينة التي اتخذ فيها الإله آن موطنه الرئيسي تدعى باسم (أوروك) أو (أرك) كما وردت في التوراة استمرت عبادة الإله (آن) في بلاد سومر طوال مئات السنين⁽²⁾ كان (آن) هو الحاكم الأسمى و الإله الرئيسي في مجمع الآلهة ، وكان في البداية مهتما بشؤون الحكم و يرمز له بغطاء للرأس ذي قرون علامة على ألوهيته و كان معبده الرئيسي في (أوروك)⁽³⁾ يعتبر " أنو " الإله الأعظم منذ أقدم العصور التاريخية عرف معبده "بمسكة أنو أو بيت السماء" حيث حلت عبادة ابنته "عشتار" آلهة اللذة محل عبادته حيث كانت تعبد ابنة " أنو " منذ عهد " أي أن توم " تحت

1- خزعل الماجدي، المرجع السابق ، ص 84.

2- صمويل نوح كريم ، من ألواح سومر ، تر: طه باقر ، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، بغداد ، (د . ت) ، ص

3- جفري بارندر ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1993 ، ص 13 .

اسم "نتي" كان "أنو" هو أول إله يمجّد وكان "ملك الآلهة" لقب منحه إياه أور أنجور ، كان يسكن قمة قبة السماء "سماء أنو" وكان يجرس بعض المعبودات وكان يوضع أمامه الصولجان و التاج و عصا القيادة قبل نشوء الملكية على وجه الأرض ، وكان "أنو" من أسمى الآلهة يعتبر كأب لهم و أول نموذج للخلقة إلا أنه لم يستطع أن يحتفظ بالسلطة العليا.⁽¹⁾ يكتب اسم الإله " أنو " ب المسمارية التي كانت في الأصل صورة تشبه صورة النجمة ذات الثمانية رؤوس انظر الملحق رقم 2 ص 97 كعلامة دالة تسبق أسماء جميع الآلهة العراقية القديمة ، و قد ثبت أن هذه الرؤوس الثمانية هي في حقيقتها إلا مؤشرات إلى جميع جهات الكون الجغرافية و هذا يعني أن هذه الرؤوس الثمانية كانت تعبر عن الشمول و تهدف إلى أن الإله موجود في كل مكان من الكون هو أن العلامة لم تستخدم إطلاقاً للدلالة على النجمة و لكن شبهها للنجمة دفع العراقيين القدامى إلى أن يكتبوا كلمة نجمة بتكرار العلامة المذكورة ثلاث مرات كي يفرقوا بين كلمة " أنو " و كلمة "نجمة" و الإله " أنو " والد للعديد من الآلهة مثل إله الهواء إنليل و إله الجو أشكور و إلهة الحب و الحياة "اينانا" و ألهة مدنية لكش بما فيها زوجة الإله "نجرسو" و التي تعتبر أم جميع الأطفال و أم مدينة لكش و الآلهة " نسابا" الهة الحبوب ، كما كان الإله " أنو " والد للعديد من العفاريت و الجن و والد الآلهة الشريرة السبعة التي تدعى "سيبتو" إضافة إلى قيامه بكثير من الأعمال المؤذية للبشر.⁽²⁾

من نسل الإله " آن " مباشرة تنحدر مجموعة مهمة من الآلهات اللواتي يعنى أغلبهن بالطب و تتداخل أحيانا وظائف الشفاء عندهن .

- ننتي نوجا : يعني إسمها بالسومرية " السيدة التي تحي الموتى " أو " حواء الموتى " فهذه الآلهة هي مصدر اسم حواء لأن كلمة "نتي" تعني "حواء" وتعني "الضلع"

- ننسينا " : إلهة إسن المختصة بالشفاء ، تسمى طيبة الرؤوس السود الكبيرة

1- ول، ديلارت ، بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية و الآشورية ، تر : محرم كمال ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1976، ص 140.

2- تقي الدباغ وآخرون ، المرجع السابق، ص 150-151.

- باو (با أو) إلهة الطب و الزراعة و يرمز لها بالأوزة إلهة مدينة لكش

- كولا : معنى اسمها بالسومرية (الكبيرة) عبرت عن الطب في العصور البابلية .

- تنكارك:معنى اسمها بالسومرية (سيدة المرفأ) تستدعى لسبب الأوبئة

- جتو مدو : كان يطلق عليها في عهد " كوديا " (أم لكش)

كما ينحدر من نسل الإله " آن "الآلهة العظام (الأنوناكي) و آلهة ثانويين (إيجيجي) كان رمزه العدد 60 الذي كان أساس النظام الستيني الرياضي و الفلكي و هو النموذج الأول لعبادة التوحيد والتفريد⁽¹⁾

2- كي ki :

هي الأرض و هي الآلهة السومرية الأم الثانية بعد " نغو " فهذه الآلهة اتخذت أكثر من اسم و من صفة ، أنجبت من الإله " أن " إلهة أنثى أصبحت هي الأمالكبرى الثالثة و هي الآلهة (ننكي) و هي الآلهة ننخر ساج باليونانية تقابلها كلمة جي ge تعني الأرض ، عرفت بعدة ألقاب ، منها (دامكال ،تنماخ شتو سيدة الولادة) وأماري أي العذراء أو الغريبة كانت "كي" ذات منزلة عظيمة و تتقدم على كل الآلهة ، و كانت أم لجميع المخلوقات الحية بعدها آلهة الكواكب الثلاثة الكبرى و هم ن نار أو نانا القمر أوتو الشمس إنانا الزهرة⁽²⁾

3- أنليل (Enlil – Elil) :

سيد الغلاف الجوي و الرياح هو المحسن و الجد الأول الذي يعزى إليه خلق الشمس و القمر و النباتات و الأدوات الضرورية التي يسيطر الإنسان بواسطتها على الأرض و تقول بعض الاساطير أن إنليل هو ابن " أنو " Anu أنظر الملحق رقم 2 ص 97 رغم أنه في نصوص أخرى

1- خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص 90-91.

2- نفسه ، ص 103 – 104.

هو من نسل أول زوجين إلهين و هما (أنكي **Anki**) و (نينكي **Nin-ki**) (سيد الأرض و سيدتها) فالإله إنليل يرتبط بمدينة "نيبور" وصف بانه غدى الإله الأسمى لكل سومر ⁽¹⁾ فهو إله الهواء يأتي بعد الإله " أنو " وهو الإله الذي يمتلك بين يديه ألواح القدر، فهو الذي خلق الفأس أداة للعمل مقر عبادته مدينة "نفر"، ومعبده سمي "إيكور" و يعني (بيت الجبل) و له مواقف سلبية تجاه البشر فهو الذي قرر الفيضان على الأرض ² كني في أقدم السجلات المدونة بكنية "ابن الآلهة" ولقب بلقب "ملك السماء و الأرض" و يلقب "ملك جميع البلدان"، كان إنليل هو الذي يعلن إسم الملك و يعطيه " صولجانه" و ينظر إليه بعين الرضا، فكان هو الإله الذي يخرج النهار وهو الذي يحب البشر والذي أخرج جميع البذور و الأشجار من الأرض ومن بين النصوص التي

تمجد الإله أنليل أنظر الملحق رقم 3 ص 99

كان إنليل يعيش في ظلام دامس ، فأنجب ابنه نانا إله القمر فيبدد الظلام في السماء و ينير الأرض ⁽³⁾ ، إنليل إله الهواء قرينته هي نينليل إله الرياح ⁽⁴⁾ عثر في مدينة نفر على تمثال من الطين كبير الحجم يحتمل أنه يمثل الإله إنليل جالسا على عرشه و قد مد يديه إلى الأمام ، وله لحية طويلة و قد وضع على رأسه تاجا من تيجان الآلهة أنظر الملحق رقم 11. ⁽⁵⁾

ننليل (**Ninlil**) زوجة الإله أنليل كانت تسمى قبل زواجها (سود **Sud**) أي الطويلة توصف بأنها إلهة الحبوب لأن أمها (نسابا) إلهة الحبوب و الكتابة و أبوها (هاي) إله الصوامع و أسطورتها تحكي قصة زواجها الشرعي من إنليل ولها قصة زواج غير شرعي منه اجتاز إنليل بلاد سومر كلها عندما كان شابا يافعا للبحث عن زوجة له ، فلم يجد ما يرضيه ، لكنه عندما يصل

1- جفري بارندر ، المرجع السابق ، ص 13.

2- تقي الدباغ و اخرون ، المرجع السابق ، ص 152.

3- فراس السواح ، (دين الانسان)، المرجع السابق ، ص 33.

4- حسين نعمة ، موسوعة الأديان السماوية الوضعية — ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ، ج 2 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994 ، ص 83.

5- عبد الحميد زايد، الشرق الخالد ، مقدمة تاريخ حضارة الشرق الأدنى من العصور حتى عام 323 (ق.م)، دار النهضة العربية ، بيروت، 1996، ص 156 .

إلى مدينة (إبريش) يري سود و هي ابنت العائلة الحاكمة في المدينة فتنال إعجاب إنليل و عندما عاد إلى مدينة (نفر) قام بإرسال رسوله نسكو (نسوكا) وهو إله النار الى والدتها نصابا و أبوها (هايا أو غايا) إله الصوامع بعد أن حمله هدايا كثيرة ، فتزوجها و أعطها لقب انليل سيدالهواء و أنجب منها عدة آلهة منها إله القمر (نانا) و ثلاثة آلهة من آلهة العالم الأسفل.⁽¹⁾

4-أنكي أيا (En-ki-Ey)

إله الأرض و إله المياه الجوفية و مرتبته بين الآلهة تأتي بعد إنليل تختلف التسمية فبالأكدية يسمى "أيا " اعتبرته النصوص المسمارية أنه إله الحكمة و بحوزته القوى الالهية التي تسمى بالسومرية "مي" كانت الآلهة مثيرة في المواقف الصعبة و هو على العكس من الإلهين " أنو و انليل " فهو دائما حسن النية و الشعور تجاه البشر، و أنكي والد الإله " أسار لوخي " (مردوخ) و من أبناء و بنات الآلهة " أنكي " هي ناتشيه إحدى آلهات مدينة لكش معبد الآلهة " أنكي " " يسمى أي سبيو " أو إنوكورا " رمزه كائن حركي و سمكة تمثل الجزء الأمامي و الجزء الخلفي منه ⁽²⁾ كانت مملكته هي "إبسو" و هي المياه التي تحمل الأرض و تنتشر حولها أسماء الساميون " أيا " و معناه البيت الذي يوضع فيه الماء، اسمه السومري معناه "سيد الأرض" ⁽³⁾ انظر الملحق رقم 4-

5ص100

نسبت إلى " أنكي " المهارة و الذكاء ، كان يعتبر وزيرا لـ "أنو — و أنليل " و يمكن تشبيهه بوزير الزراعة كان يشرف على الجداول و الأنهار جاء وصفه في النشيد السومري " يا أنكي يا سيد اللفظ الحكيم إياك أحمد ، لقد حولك أبوك أنو أول ملك و حاكم على عالما لم يكن قد اكتمل حولك في السماء و الارض أن تضع و ترشد و رفعك سيدا عليهما " . كانت دار عبادته في "أريدو" رفيقته هي "كي" (سيدة الارض) بدأت صحة أنكي بالتهور و مرضت ثمانية أعضاء

1-خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص 104.

2-تقي الدباغ واخرون ، المرجع السابق ، ص 154 .

3-عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 157 .

من أعضائه و بالنظر إلى تدهور صحته السريع ، فإن الآلهة بقيت جالسة في التراب و قد بدا " أنليل " إله الهواء غير قادر على تدارك الأمر و عند ذلك تكلم الثعلب قائلاً : " بأنه قادر على إعادة الآلهة الأم إلى السماء إذا هم وعدوه بجائزة سخية " ، كان الثعلب عند كلمته إذا دعتة الآلهة إلى مكافأ بينهم ، و أعادت إله الماء "أنكي " إلى الحياة ، و ذلك بأن أجلسه إلى جانبها و تعرفت على أعضائه المريضة ثم أوجدت ثماني معبودات ترتبط كل واحدة منها بعضو من تلك الأعضاء ، فتكون مسؤولة عن سلامته و حياته و هكذا استعاد "أنكي الحياة و العافية " (1).

5_ مجمع الآلهة العظام و الثانويين :

يترأس مجلسهم الإله " أنليل " وهم مسؤولون عن الأرض و الماء و الأرض السفلى ، سمي مجتمعهم بـ " الأنوناكي " لارتباط وظائفهم بالأرض و في العصور اللاحقة إسم " الأنوناكي " يدل أيضا على الآلهة السبعة القضاة على العالم السفلي يدل عددهم على العدد الرمزي للإله أنليل أكثر الآلهة شهرة بعد آلهة المصائر الكبرى وهم عماد الشجرة السومرية الآلهية . (2)

الثانويون : و هم ما تبقى من الآلهة ذات الشؤون الصغيرة و البسيطة و الذين لا يعرف عددهم بالضبط و هم غالبا ما يشيرون في السماء و قد عرفوا باسم " الإيجي " أو " الإكيكي " ، كان الخلط بين هذين المصطلحين بعد السومريين حيث أن الإله " أنو " اتصل بالآلهة "أنتو" و هما إلهان ساميان و أنتجا (الإيجي) ككائنات سماوية أو ملائكة سماوية و " و الأنوناكي " ككائنات أو آلهة أو ملائكة أرضية (3)

II - خلق الكون :

1-بدايات الخلق:

1- صمويل نوح كريم ، الموسوعة الصغيرة (77) تر: ناجية المراني ، منشورات دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة و الاعلام ، بغداد 1980 ، ص 39 .

2- خزعل الماجدي ، المرجع السابق، ص 104.

3- نفسه ، ص 81.

تقول الأسطورة أن كل شيء كان في "نمو" (**Nammu**) و نمو هي الآلهة السومرية الأم الأولى انظر الملحق رقم 7 ص و المعنى الحرفي لإسمها " ماء الأم " و هذا تشبيه صريح لولادة الكون بالولادة البشرية ، و اسمها يشير إلى المياه الأزلية — مثل نون عند الفراعنة — التي ظهر منها الكون و الآلهة ، كانت نمو ساكنة لكنها تحركت ، و بدافع الحركة و السكون كان ظهور السماء و الأرض ، و كانا في حالة التصاق و عناق ، و السماء في الأساطير السومرية ذكر يمثله الإله " آن (**An**) ، وقد تزوج إلهة الأرض "كي" (**ki**) و سكبت الأمطار من السماء على الأرض، و كأنها المني، فالمطر هنا يأخذ مدلولاً يتبعه عن ذلك ظهور النباتات ، و سبل الخمر و العسل ، و ولد لهما الإله "انليل (**Enlil**) إله الهواء ، و كلمة " انليل " مكونة من مقطعين (إن) التي تعني السيد و (ليل) التي تعني الهواء أو الريح و يلقب بجبل الريح ، بعد أن كبر انليل فصل بين أمه و أبيه فرفع أباه سماء (آن) إلى الأعلى و بسط أمه الأرض (كي)⁽¹⁾.

تسمي الأساطير السومرية أول أيام الخليفة (أوريا **Uria**) ففي ذلك اليوم بدا الانتقال من مرحلة العماء الى مرحلة الكون و قد تم ذلك من خلال الأنتى الكونية المائية الأولى نمو ، وهي إلهة هيويلية تحركت فيها إرادة الخلق و تصارعت الحركة مع السكون و نتج عن ذلك الكون (آن - كي) و يعني (السماء و الأرض) و هو جيل كوني يعوم وسط مياه نمو ، و بذلك تكون أيضا المكان الأول إن نمو كانت غمرا من المياه و هي أم الوجود كله، البحر الذي لا حد لقدمه و الذي يشتمل على كل الأنظمة و الحكمة و الألوهية الصافية ، انه الجامع للقمر و الآلهة ن و يذكر هذا بفتحة التكوين العبري وكان الله يرف على وجه القمر ، و لذلك تعتبر نمو ام جميع الأشياء و النواميس و تسمى (أما - تو - آن - كي) أي الأم التي ولدت السماء و الأرض و تسمى أيضا (أما - باليل - و - تو - دنكر) أي الأم الأولى التي ولدت الآلهة ، و أن الزمن الأول " أوريا " و المكان الأول " أن - كي " يشكلان في ذهن كل شعب من الشعوب أفكار عميقة ، في الوجدان و تصبغها ، بصفة القدسية الكاملة و يتحولان الى جذر للزمان المقدس ، وجذر للمكان

¹ - خزعل الماجدي ، المرجع السابق، ص 83.

المقدس، وقد رأى المعلمون و الحكماء السومريون ان المكونات الأساسية للكون تتمثل في السماء و الأرض كما عبروا عن ذلك بمصطلح "أن-كي **an-ki**" و هي كلمة مركبة تعني " السماء-الأرض"⁽¹⁾ ، و كذلك اعتقدوا أن الأرض كانت عبارة عن قرص مسطح ، و أن السماء كانت فضاء مخوف مغطى من أعلاه و من أسفله بسطح صلب على هيئة قنطرة و بين السماء و الأرض ، اعتقدوا بوجود مادة أطلقوا عليها " ليل **lil**" ، و هي كلمة ربما تعني بالتقريب " الرياح " (الهواء- النفس-الروح) و كان من أهم سمات هذه المادة : الحركة و الامتداد و المصادر الرئيسية عن تصورات السومريين حول خلق العالم ، هي مقدمة القصيدة المعنونة (بجلجامش و أنكيديو و العالم السفلي) ، حيث كان الشعراء السومريون عادة ما يبدوا أن أساطيرهم أو قصائدهم الملحمية بمقدمات عن أصل خلق الكون ، كذلك كانت هناك مقدمة قصيدة (الماشية و الغلة) التي تجعل من المفترض أن السماء و الأرض اللتين اتحدتا كانتا جبلا قاعدته قاع الأرض و ذروته قمة السماء ، و علاوة على ذلك هناك أيضا القصيدة التي تدور حول خلق الفأس ، و التي تجيب على التساؤل عمن فصل السماء عن الأرض حيث تقرر بأنه اله الهواء " انليل **Enlil**" و شرح العلماء السومريين أصل الكون علي النحو التالي : في البدء كان البحر الأزلي و لم يذكر شيء عن أصله و مولده و من المحتمل أن السومريين اعتقدوا انه سيبقى موجودا للأبد ، كما ولد البحر الأزلي الجبل الكوني الذي كان يتكون من السماء و الأرض متحدتين ، تخيل السومريون الآلهة في هيئة بشرية "ان-**an**" السماء هو العنصر المذكر "كي-**ki**" ، الأرض هي الأنثى و من اتحادهما ولد "انليل" اله الهواء ، فصل انليل السماء عن الأرض ، بينما فاز أبوه " ان" بالسماء و فاز "انليل" نفسه بأما الأرض⁽²⁾.

نمو اذن الأصل الحي الذي ظهر منه الوجود كله (العالم ، الآلهة ، الإنسان) و كانت نمو تدل على الاكتمال المطلق و على كل مادة الكون ، فهي غنية بنفسها لا تعنيها المخلوقات ، لقد كانت

¹ -صلاح أبو السعود ،المرجع السابق،ص07.

² -كارم محمود عبدالعزيز ، أساطير التوراة الكبرى و تراث الشرق الأدنى القديم ، ط1 ، دار الحصاد للنشر و التوزيع و الطباعة ، دمشق ، 1999 ، ص49-50.

الشعوب ترمز لاكتمال الأئني المائية الأولى " بالأوروبوس " و كانت عذراء لأنها ابتدأت الكون ، فيما بعد من خصبها الذاتي دون معونة من مبدأ ذكري مشارك لها في أزها ، فتولدت عنها الموجودات كما يتولد النور من مصدر الاحتراق و إليها تعود الموجودات في نهاية الأزمان ، إننا نرى أن جدل السكون و الحركة هو الذي جعل نمو تلد جيل الكون⁽¹⁾

ب : فصل السماء عن الأرض :

في مطلع الأسطورة تحكي عن خلق الإنسان ، نعثر على إشارة لجيل السماء و الأرض

في جيل السماء و الأرض

أنجب أن أتباعه الانوناكي

و هذا الجيل لم يكن أزليا بل مخلوقا ، فمن لوح آخر مخصص لتعداد أسماء الأنوناكي ، آلهة سومرية ، نعرف أن الآلهة " نمو " و هي المياه البدائية قد أنجبت السماء و الأرض اللتين انفصلتا عن بعضهما ، و تعتبر مطلع أسطورة أخرى عرضا إلى هذا الانفصال فيقول :

بعد أن أبعدت السماء عن الأرض

و فصلت الأرض عن السماء

و تم خلق الإنسان

و أخذ " أن " السماء

و انفرد انليل بالأرض

أخذ الإله " كور " الإلهة " أرشجيكال " غنيمة

1- خزعل الماجدي ، ، المرجع السابق ، ص 71 .

الإله كور في الميثولوجيا السومرية ، هو رب العالم الأسفل ، عالم الموتى الذي تمضي اليه الأرواح ، أما " أرشجيكال" فقد كانت آلهة أرضية تزوجها كور بعد أن اختطفها إلى عالمه الأسفل لتعدوا آلهة ذلك العالم ، و في مطلع أسطورة ثالثة نعرف عن فصل السماء عن الأرض و الإله "أنليل" الذي قام بالعملية الجبارة والذي أخرج كل شيء نافع .

الإله الذي لا مبدل لكلماته

أبعد السماء عن الأرض

و أبعد الأرض عن السماء⁽¹⁾

ج - تنظيم الكون :

بعد أن فصل "أنليل" السماء عن الأرض و أعطاهما شكلهما انصرف إلى خلق عناصر بقية الكون وهنا أيضا يأتي الخلق نتيجة الحركة المادية و الفعالية الحياتية للآلهة لا نتيجة الكلمة الخالقة و الأمر الإلهي ، فظهور الشمس و القمر للوجود و كذلك بعض الآلهة يأتي نتيجة الفعالية الجنسية للإله "إنليل" الذي ضاجع الإلهة "ننليل" (Ninlil) ، طور السومريون مبدأ صار عقيدة في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم و هو مبدأ القوة الخالقة للكلمة الإلهية⁽²⁾ تبدأ الأسطورة بمقدمة وصفية لمدينة نيور التي ولدت قبل ظهور الإنسان و كانت تسكنها الآلهة. (أنظر الملحق رقم 14 و 15)

ضاجع الإله " أنليل" الآلهة ننليل فولدت له " نانا " إله القمر، و بدوره أنجب " أوتو " إله الشمس بفعل جنسي آخر ، لم يكن الخلق مهمة تولاهها إله واحد في سومر ، فها هو الإله " أنكي " يتابع ما بدأه " أنليل " و يضع اللمسات الأخيرة على صورة الكون ، فملاً دجلة و الفرات ماء نقياً و يخلق فيهما السمك ، وعلى شاطئيهما ينشر القصب ، ثم يلتفت إلى البحر فينظم شؤونه و

1- فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، دراسة في الأسطورة ، سوريا ، بلاد رافدين ، ط11 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1996 ، ص34-35.

2- كارم محمود عبدالعزيز، المرجع السابق ، ص 50-51 .

يوكل به إلهة إسمها سيرازا ، ثم يلتفت إلى الرياح و الأمطار ... الخ و أخيرا بعد انتهاء من عناء⁽¹⁾ الخلق يخلد " أنكي " للراحة و السكينة و يشرع في بناء بيت له في الأعماق المائية⁽²⁾ إحداث الكون الذي يتألف من السماء ذات القبة التي تعلو الأرض المنبسطة و تتحد معها ، و لكن كان يأتي بينهما الجو المتحرك و المتمدد الذي يفصل السماء عن الأرض و من هذا الجو سويت الأجسام المضئية (القمر ، الشمس ، النجوم) و بعد انفصال السماء عن الأرض و خلق الأجسام النجمية مانحة الضياء ، ظهرت الحياة النباتية و الحيوانية و البشرية إلى الوجود⁽³⁾ هناك أسطورة سومرية تتحدث عن نشاط الإله أنكي الخاص بتنظيم العالم و تسيير أسباب الحياة و الحضارة السومرية أعظم بلدان العالم .

أيها المغمور بالنور الدافئ و الشرائع المطاعة

أقدارك عظيمة لا تتبدل

و قلبك واسع عميق ، لا يسير له غور

و (...) كالسماء لا يمكن مسها .

الملك الذي تنجبه مزين أبدا بجلي دائمة

السيد الذي تنجبه ، على رأسه تاج لا يميل

سيدك سيد معظم يجلس مع " آن " في العرش السماوي

مليكك هو الجبل العظيم ، الأب أنليل

و كمثل (...) هو أب لكل البلاد

1- سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ، بيسان للنشر و التوزيع ، سوريا ، 2003 ، ص 135 .

2- نفسه ، ص 136 .

3- فراس السواح ، موسوعة تاريخ الأديان ، مصر ، سورية ، بلاد الرافدين ، العرب قبل الإسلام ، ج2 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2004 ، ص 185 .

أما الأنوناكي ، الآلهة العظيمة .

في وسطك قد أقامت مساكنها

وفي غابتك الواسعة تتناول طعامها

سومر لتضعف إصطبلاتك و تتكاثر أبقارك .

لتضعف زرائبك ، فلتتكاثر اغنامك .

لتكن (...) جافية.

ألا فلترتفع (...) الراسخة يدها الى السماء .

ألا فليقرر الأنوناكي في وسطك المصائر .

و بعد ذلك يمضي إلى مدينة أور و كانت عاصمة سومر في ذلك الوقت المبكر من تاريخه
فيقرر له مصائر⁽¹⁾

د : شكل الكون و أقسامه :

يظهر لنا الكون السومري كله طافيا أو سابجا فوق بحر هيولي من الماء تمثله الآلهة السومرية
الأم " غمو " التي تحيط به من كل الجهات و الذي لا نهاية له فالكون عبارة عن كرة عملاقة تتكون
من الأقسام التالية : - العالم الأعلى (العلى) : و هو الفضاء الذي فوق السماء حيث تسكن

الآلهة السماوية فيه . انظر الملحق رقم 7 ص 102

- السماء (آن) : سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها ، من المحتمل
أن هذه الكتلة السماوية كانت قصديرا ، فالتعبير السومري أن القصدير هم معدن السماء .

1- فراس السواح ، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق ، ص 43 - 44 .

- الفضاء (**Lil** ليل) : و هو الفراغ الموجود بين السماء و الأرض و كانت كلمة ليل التي تدل على الظلمة ، تعني أيضا الريح ، الهواء و النفس ، الجو ، الروح و تمتاز بقدرتها على الحركة و الامتداد⁽¹⁾

- الأرض (**ki** كي) : و هي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي حوله و تحته و يمكن تصنيف المحيط المائي إلى ثلاثة ، البحر الأعلى و كان المقصود به البحر الأبيض المتوسط ، البحر الأسفل و كان المقصود به الخليج العربي ، البحر العميق الذي تحت الأرض وهو (أبسو) أي مياه الأعماق التي فيها مسكن الإله (انكي) ، و هي مقر الألهة (نمو) ، يعني أن الأرض تحيط بها المياه من كل الجهات . ان العالم الأسفل "كور أوجيكال" : الفضاء الذي يقع تحت الأرض و الابسو و تعيش فيها آلهة العالم السفلي و يسمى بأسماء مختلفة منها أرض اللا عودة ، والأرض البعيدة ، أرض الموت ، أرض الأحزان ، الفقراء الخ ، وهو عالم مظلم تسيطر عليه عائلة الالهية مكونة من " نركال" و "اورشجيكال" و أبناءهما و أحفادهما من الالهة و تسكن أيضا الشياطين وهي كائنات سلبية مفزعة ، و تسكنه أرواح الموتى من البشر ، و للعالم الأسفل مدخل رئيسي مكون من سبعة أبواب تسمى بنهر العالم الأسفل الذي اسمه خبر⁽²⁾

ه- خلق النبات و الحيوان :

لقد تنوعت عقائد سكان العراق القديم في بيان من خلق النبات و الحيوان ، ففي اسطورة (انكي و ننخرساك) نجد انه تم خلق ثمانية انواع من النباتات ، بعد ان قامت الالهة (ننخرساك) بجعل البذرة التي زرعها (انكي) في رحم (أوتو)⁽³⁾ تغطي ثمانية انواع من النباتات ، ان الاسطورة تبين علاقة منطقية في خلق النباتات ، حيث نجد النباتات جاءت نتيجة وصول الماء متمثلا بالاله (انكي) في عملية ايجادها . اما فيما يخص خلق الحيوان في هذه الاسطورة فقد

1- خزعل الماجدي ، المرجع السابق ، ص79.

2- نفسه ، ص 50.

3- (اوتو-نو) : و هي آلهة النسيج و الغزل ، راجع ، رشيد فوزي و آخرون ، الديانة في حضارة العراق القديم ، ج 1 منشورات الجمع القلمي ، بغداد ، 1985 ، ص 157 .

جاءت على ذكر الثعلب الذي نجح في اقناع (ننخرساك) في معالجة الاله (انكي) و هذا يدل على ان الحيوانات كانت موجودة مع الآلهة . لقد كان للآلهة (عشتار) أنظر الملحق رقم 10 ص 100

اثر كبير في نمو النباتات و اخضرارها . فعند خروجها من العالم الاسفل و ظهورها الى الارض نما النبات و أُنِع من جديد و امتلأت الأرض⁽¹⁾ طعاما و من دعاء سومري موجه للآلهة انانا (عشتار) : (أيتها السيدة ان ثديك هما حقلك و حقلك الواسع الممتد الذي (يكسب الحنطة) .

اعتقد سكان العراق القديم بوجود قوى خلاقية في الطبيعة جسدوها بالهة الخصب و التكاثر سماها السومريون (انانا) ، و سماها البابليون عشتار ، كما أنهم جسدوا هذه القوى أيضا بالذي ذكر في العصور التاريخية القديمة باسم دموزي (تموز) الذي جعلوا منه حبيب ثم زوج لآلهة الخصب انانا عشتار و اعتقدوا انه نتيجة اتصال الخصب بآلهة الحب و الخصب يُخلق التجدد و النماء في مختلف مظاهر الطبيعة المختلفة ، و كان الاله دموزي القوة الخلاقية التي تبعث الحياة في تلك المظاهر اثناء الربيع عندما يظهر العشب و ينمو الزرع و تتكاثر الماشية و قد جاء في ترتيلة الآلهة عشتار⁽²⁾ و عسى أن تجعل ملكه الزرع المقدسة . من الحب أكواما مقدسة

و صار الاله (ننورتا) اله للخصوبة حيث كان يتحكم في الفيضان السنوي للأنهار الذي بدونه لا يمكن ان يكون هناك شيء اخضر ، و على هذا الاساس فان لهذا الاله اثر في نمو النباتات و اخضرارها حيث جاء في اسطورة سومرية : " و بسبب ذلك فرح ملوكه بلاد سومر بما قام به الاله (ننورتا) .

الذي ترك الشعر ينمو في الحقول

¹ - ديوارنت ويل ، (قصة الحضارة) ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 219-221 .

² - محمد فهد القيسي ، قصة الخليفة بين الألواح المسماية و الكتب السماوية ، ط 1 ، تموز للطباعة ، دمشق ، 2011 ، ص 111-112 .

و أشجار البساتين تحمل الفواكه .

فكدمت أكوام الشعير مثل التلال . و هناك اهة سومرية هي الآلهة (بابا)⁽¹⁾ اشتهرت باسم (سيدة سنبلة القمح) او قد يكون لها اثر في نمو القمح بحسب ما يدل عليه معنى هذا الاسم ، و ذكرت المعتقدات السومرية ، التي تناولت خلق الكون انه باتحاد (أنليل) الهه الهواء بامه (كي) اهة الأرض و بمساعدة (أنكي) الهه الماء تكونت الخضار و الحيوانات ، فهذه العناصر الثلاثة او أضيف اليها الاله (أتو) الهه الشمس الذي ولد من قبل الاله القمر "نانا" كانت هي العوامل الرئيسية الطبيعية التي يتوقف عليها نمو النباتات و الحيوانات ، و قد ورد انه الاله (أنليل) هو الذي جلب البذور من الأرض ، كما قامت الآلهة العظام (أنكي و أنليل) بخلق آلهة الحبوب (أشنان و آهة المائية) لخار) حيث جاء في اسطورة سومرية ما يلي :

" في تلك الأيام قال (أنكي) خاطب (أنليل)

يا أبي أنليل ان لخار و اشنان

اللتين خلقناهما في بيت الآلهة

دعنا نترلها من بيت الآلهة (الى الأرض)

فانزلوا لخار و أشنان من بين الآلهة

بموجب كلمة أنكي و أنليل المقدسة .

و عندئذ أعاد أنكي و أنليل الزريبة (للخار)

و قدما للنباتات و الأعشاب هدية لها .

اما (اشنان) فانهما اقاما لها بيتا .

و قدما المحراث و النير هدية لها⁽²⁾

¹ - بابا : هي آهة مدينة لكش و ابنته الاله انو: انظر : الحسيني عباس علي ، مملكة ايسن بين الارث السومري و السيادة

الامورية ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، (د.ت) ، ص 12 .

² - محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 115، 114

و هنا نجد أن الاله أنكي و الاله أنليل خلقا النباتات و الأعشاب و أيضا خلقا آلهة الماشية (لхар) المسؤولة عن حيوانات الحقل ، لقد قام الآلهة العظام (أنليل) و (أنكي) و (لхар) و آلهة الحبوب (أشنان) في صالة الخلق الخاصة بالولادة الى الالهين العظيمين (أنكي و أنليل) و هما المسؤولان عن خلق الحبوب و حيوانات الحقل من خلال خلق آلهتين مسؤولتين عنهما و هما (أشنان و لхар)⁽¹⁾

و-خلق ايمش و أنتن : (الصيف والشتاء)

بعد أن قرر الاله (أنليل) أن تثمر جميع انواع الشجر و أن يهب البلاد رزقا و رخاء و عمد الى خلق اخوين هما (ايمش) و هو الصيف و " أنتن " و هو الشتاء و قرر أن يعهد الى كل منهما مهمته الخاصة به ، تقول نصوص الأسطورة :

قرر الأخوين " أنتن " و ايمش " أن يذهبا الى " نفر " حيث مقام الاله (أنليل) لتقديم وافر الشكر و الثناء و تقديم القرابين ، و قبل ان يصلا الى (أنليل) انشد الجدل بينهما فكل منهم يريد أن يبرهن انه الافضل ، و أن هداياه افضل من الآخر ، و عندما يدخلا على انليل يبدأ "انتن" بالشكوى فيقول :⁽²⁾

يا أبتي أنليل قد عهدي الى شؤون القنوات

فجلبت مياه الخير

و ملأت صوامع الحبوب

و أكثرت الغلة في المزارع

و مثل امتنان العذراء الرحيمة جعلتها تنمو بغزارة .

1- محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 115 .

2- نفسه ، ص 119.

لكن ايمش الذي لا يفهم شيئاً في زراعة الحقول .

قد زاحمني بالمرفق و المنكب و في قصر الملك .

يقول " ايمش " رداً على ما قاله " أنتن "

أي أنليل المعظم

انني عبدك و ضيعك

و أنا الموكل على أشجارك و حقولك و اصطبلاتك

و لكن أنتن أنكر على ما فعلت⁽¹⁾ .

III: خلق النجوم و الكواكب

1_ القمر نانا nanar

يقع بعد "أنكي" رقمه الحسابي 30 يعني تمثيل الشهر كاملاً ، إسمه السومري (نانا) و تعني رجل السماء ، و إسمه باللغة الاكدية (سي ، أن) أو (سي ، آن ، نو) وهو إله مدينة " أور " يعد والد للإله الشمس " اوتو " يمثل إله القمر ، بهلال وحده أو بهلال مع صورة على هيئة البشر ، إشتهر بالحكمة يشترك مع الإله الشمس في شؤون العدالة ، حيث كان خسوف القمر يحدث بمجموع سبعة شياطين أو بأرواح شريرة على القمر ، كانوا يصلون عند الخسوف للإله و يقدمون القرابين حتى يظهر مضيئاً مرة أخرى و خصصوا له زوجة هي "نتجال" و عبدت معه في معبد " أور " كما شيد لهم معبد آخر في حران شمال بلاد الرافدين⁽²⁾ ، و هناك اسطورة سومرية تدور أحداثها حول ولادة الإله القمر نانا (نانا) أو سين و ملخصها ان الإله (أنليل) اغتصب الإلهة

1- محمد فهد القيسي، المرجع السابق، ص122.

2- ف ، فون ، زودن ، مدخل الى حضارات الشرق القديم ، تر: فاروق إسماعيل ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، سوريا ،

2003 ، ص 194 .

(ننليل) فأنجب إله القمر (نانا)، حيث شبه سكان العراق القديم سلوكيات القمر بكونه متلونا و يضيء مرة و يختفي في المرة الثانية ليس له ثبات شكله و لا في ضوئه، مثلما هو الحال مع ثبات شكل الشمس لذلك شبهوا سلوكياته بسلوكيات الأبناء غير الشرعيين، كما اعتقد السومريون أن القمر مكون من نفس مادة الجو إلا أنها علاوة على ذلك تمتلك خصائص الحركة و الامتداد شأن القمر و هي القدرة على الاشرار فلقد ورد في نص مسماري حول خلق القمر.

" حينما خلق أنو و أنليل وأنكي الآلهة العظيمة

أقاموا بامرهم الثابت و بالقرارات العظيمة

السماء و الأرض و هلال إله القمر .

ليبرز الهلال صانعا الشهر".

و هنا نجد أن القمر خلق بواسطة الآلهة (أنو و أنليل و أنكي) و أن الغاية من خلقه كانت لتحديد اوقات الشهر من خلال إحدى مراحل القمر و هي الهلال و أن الغاية من خلق القمر كانت أن ينير السماء و لكي يحدد الايام و الشهور⁽¹⁾. انظر الملحق رقم 9 ص 105 .

2_ الشمس "أوتو" shamsh.uto :

يأتى بعد إله القمر و العلامة المسمارية التي كتب بها إسم هذا الإله كلمة "يوم" و الصفة " ناصع"، "أوتو" بالسومرية و بالأكدية "شمش" أي إله الشمس جاءت مرتبته بعد مرتبة والده إله القمر، و إعتبر أخا للإلهة "إنانا" آلهة الزهرة، أما زوجته فإسمها سومريا هو "شي-نير-دا"⁽²⁾ فقد قال السومريون أن الشمس خلقت من القمر او ولدت منه بعد أن صنع القمر من الجو فورد في اسطورة تغزو الشمس الى الآلهة العظام (أنو) (أنليل) و (أيا) هذه الاسطورة :

" حينما (أنو) و أنليل و (أيا)

الآلهة العظام بمشيئتهم التي لا تحول

1- محمد فهد القيسي، المرجع السابق، ص 67.

2- تقي الدباغ و آخرون، المرجع السابق، ص 156.

ثبتوا اشارات السماء و الارض

(و) اودعوا الى أيدي الآلهة العظام

خلق اليوم (و) تحديد الشهر شارة⁽¹⁾

عد الاله (شمش) موزعا شاملا للنور و يعتني بالخلائق و يكشف الاثر و يمنح العون لمن هو محتاج و هو منظم للفصول ، و في ترتيلة الاله (شمش) نجد ما تخاطبه : (اياه يا شمس ، يا ملك السماء و الارض ، يا من توجه كل شيء في العلى وفي الأسفل)⁽²⁾. انظر الملحق رقم 10

ص106.

3_ الزهرة انانا innana

عدت ابنة وأحيانا أختا " ل سين " و مركز عبادتها الرئيسي — (الوركاء) نظر إليها كإلهة أم تصور القوة المنتجة المسؤولة عن عودة الحياة الى النباتات و قت الربيع عرفت بعدة أسماء منها " ما ، نخورزاك ، نتماخ ، نيتو ، أورور " حملت بآلهة عدة خلال مدة الحمل دامت تسعة أيام و بعد أن ولدت الخضره سميت " سيدة الجبل " (ننخرساك) و ظلت هي الأم المنتجة للحياة ، و رمزها النجمة ذات الثمانية أو الستة عشر ضلعا ضمن دائرة رقمها السري 15 ، وأعطيت " دموزي " كزوج لها و الذي يجسم زواجه منها في الربيع عودة الحياة الجديدة ، إسمها الفلكي " دلبات " لقبت " بعشتار النجوم " لأنها أكثر الكواكب لمعانا⁽³⁾ ، كما انها الهة الحب و الخصب و الحرب انظر الملحق 14 ص106 ، عرفها بعض الساميين في سوريا عشتاروت و عشورين ، كان من ابرز تلك الصفات كونها الهة الخصب بالمعنى الواسع لهذه الكلمة ، بما في ذلك من مدلولات على الجنس و التكاثر و الحب ، و كونها ايضا الهة للحرب و من ناحية اخرى فقد كان يشار اليها في القطع الفنية برموز معينة من اشهرها حزمة من القصب و نجمة مثمنة ، و قد اخذت (عشتار) مكانا كبيرا في ديانة سكان الرافدين كما انتشرت عبادتها في مناطق اخرى من

1- محمد فهد القيسي، المرجع السابق، ص69

2- تقي الدباغ واخرون، المرجع السابق، ص 70 .

3- سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، المركز الأكاديمي للابحاث ، بيروت ، 2013، ص 31-

الشرق الأدنى القديم ، كما انتقلت عبادتها الى بلاد اليونان حيث سميت باسم " افروديت " و عبدها الرومان باسم (فينوس) ⁽¹⁾ ، كما ان عشتار سيدة الاسرار ⁽²⁾

IV – خلق الانسان :

1 – خلق البشر و بداياتهم :

بعد أن أخذ الكون شكله و استقرت السماء في موضعها ، و كذلك الأرض بعد أن انتظمت دورة النهار و الليل ، و حركة الفصول ، بعد أن أخرجت الأرض زرعها و شجرها ، تفجرت ينابيعها ، بعد أن ظهرت الحيوانات بأنواعها ، و امتلأت البحار بأسمائها ، بعد ذلك صار المسرح مهيبا لظهور الإنسان ⁽³⁾ تقول الأسطورة أن الآلهة بدأت تشعر بالتعب فقد وجدوا أنهم تحولوا إلى عبيد الأرض التي صنعوها ، و أن الحمل صار ثقيلا فاجتمعوا و قرروا أن يذهبوا إلى " أنكي " إله الماء و الحكمة ، ليشكوا له و ليخلق لهم خدما ، يقومون مقامهم في حرث الأرض و رعي الماشية و لما كان " أنكي " مضطجعا بعيد في " الأبسو " مقره ، كان نائما قرب "نمو " سيدة الحياة الأولية و هي تظهر هنا كأم للإله " أنكي " فاشتكو إليها فوضعت على راحة يدها دموع الآلهة و ذهبت إلى أنكي و قالت له : " انهض يا بني من فراشك من مضجعك و أصنع كل ما هو حكيم ، أخلق خدما للآلهة يحملون عنهم عناء العيش و قسوة الحياة ⁽⁴⁾ ، ان الأساطير السومرية ترجع أصل الإنسان إلى الطبيعة و بالضبط إلى الطين و قد اقتبست التوراة هذه الفكرة فأثبتتها في " سفر التكوين " ⁽⁵⁾ الفصل الثاني كما ثمة إشارة بأن المرأة أحدثت من ضلع الرجل ، الغاية من خلق الإنسان القيام بخدمة الآلهة و تحمل مشاق العمل بدلا عنها للحصول على ما يضمن العيش من

1- فاضل عبد الواحد علي ، عشتار و مأساة تموز ، الاهالي للطباعة ، دمشق ، 1999 ، ص 25 .

2- فراس السواح ، لغز عشتار الألوهية المؤنثة و اصل الدين و الاسطورة ، ط 1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1985 ، ص 66 .

3- فراس السواح ، (مغامرة العقل الأولى) ، المرجع السابق ، ص 15-16 .

4- صلاح أبو سعود ، المرجع السابق ، ص 8 .

5- العهد القديم ، ط 1 ، دار الكتاب المقدس ، القا المقدس ، القاهرة ، 2005 ، ص 39 .

مأكل و مشرب و ملبس ، فتصور لنا (البحر الأول) أو أم جميع الآلهة و الكائنات تقف أمام الإله " انكي " و تقول له : (انهض يا بني من فراشك.... و أعمل ما هو حكيم ، أخلق خدما للآلهة) و نرى " انكي " يفكر في الأمر ، و يخلق للآلهة من يقوم بخدمتهم و أودهم ، ثم يخاطب أمه " نامو " ⁽¹⁾

" إن المخلوق الذي لفظت اسمه قد جاء إلى الوجود .

امزجي لب الطين الموجود في أعلى المياه التي لا يسير غورها

الصناع المهرة سيجعلون الطين مختمرا .

و أنت عليك أن تخلق له الأعضاء .

أماه ! قدرني مصيره كانسان "

يصور لنا الأدب السومري و هو أقدم من الرواية البابلية و الرواية العبرية في خلق الإنسان أن، السماء و الأرض متحدتين في الأصل اتحادا وثيقا متماسكا فان (البحر الأول) أو (القمر العظيم) أو الإله " نامو " هو أصل السماء و الأرض ⁽²⁾ يذكر صمويل نوح كريم عن أسطورة خلق الانسان

أ- الأصل الطيني والمائي :

تنقلنا القصيدة من خلق الإنسان الكامل إلى ذكر خلق أنواع ناقصة التكوين من البشر ، الأنواع الناقصة اللهم إلا النوعين الآخرين ، المرأة العقيم ، و الإنسان الذي لا يعرف أن كان ذكرا أم أنثى كما جاء في الأسطورة الآتية :

(لقد صنعت " نماغ " الكائن... على هيئة امرأة لا تلد

1- يوسف حسن ، الموسوعة الصغيرة 83 ، الإنسان في أدب وادي الرافدين ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد 1980 ، ص 15- 16 .

2- صمويل نوح كريم، المرجع السابق، ص200

لما رأى " أنكي " المرأة التي لا تلد

قدر لها مصيرها فقرر أن توضع في " بيت المرأة " .

وضعت " ننماخ " الطين على هيئة مخلوق ليس له عضو الذكر ولا عضو الأنثى لما رأى " أنكي " المخلوق الذي ليس له عضو الذكر ولا عضو الأنثى قرر مصيره أن يقوم بخدمة الملك ⁽¹⁾

ب / الأصل النبائي للانسان :

أسطورة الاله (أنليل) حيث قام بوضع بدايات البشرية (أي بدورها) في شقوق الأرض وبعد ما بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل العشب ، و يرجح فكرة هذه الاسطورة انها قادمة من الأصل البعيد للسومريين في النصف الأعلى أو الشمالي لوادي الرافدين و ربما في سامراء ، وحيث كان الانسان العراقي القديم يمارس الزراعة معتمدا على الأمطار و كان ظهور النباتات والأعشاب منظرادائم ⁽²⁾.

ظهرت بدايات الاله الذكر متمثلا بالهواء و هو ما يقابل الاله (أنليل) فيمايلي مقطع من هذه الأسطورة المسماة بأسطورة المعول التي تبين لنا شأن الاله أنليل و تمجيده بين الآلهة .

ج/ الأصل الحيواني :

أسطورة الاله (أشنان) هذه الأسطورة ذات الأصل السومري تصف ظهور الآلهة العظام المبكر على جيل السماء و الارض ، حيث لم يخلق بعد أي شيء لا الآلهة الصغيرة و لا الحيوانات كالنعجة و العزة ، و لا الحبوب كالشعير ، لم يكن الانسان الأول في ذلك الزمن يعرف شيئا ، حيث تصفه الأسطورة كأنه قادم من فصيلة الحيواو هكذا انتهت الهة النعجة و الشعير (أشنان) من التل المقدس الى الارض و من هذه الأسطورة نرى بان الانسان كان حيوانا يمشي على أربعة أطراف و لا يالخبز لانه لا يعرف صناعته ، و يشرب الماء من القنوات ، و بينما كانت الآلهة في مرتفعها المقدس .

1- صومويل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص206

2- خزعل الماجدي، (بحور الآلهة)، المرجع السابق، ص 305 .

د- الأصل الإلهي للإنسان:

أسطورة الآلهة (لمكا) تعد هذه الأسطورة من أكثر الأساطير السومرية شيوعاً في تراث العالم القديم ، فهي تنفرد بتقديم فكرتها ، التي تؤكد أن الإنسان مخلوق من دم الآلهة المذبوحة (لمكا) ، تعرف هذه الأسطورة في مجال الدراسات المسمارية (kar4- mythos) وهذه مقاطع منها :

هـ/ الأصل اللوغوسي للإنسان :و أسطورة الاسم

كانت (الكلمة) مصدر خلق عند السومريين ، و كان اطلاق كلمة الخلق بمثابة الخلق بنفسه و من أبرز صفات الكلمة اطلاق الاسم على الشيء ذلك يعني أن اطلاق الاسم على الشيء أو تسميته يعني خلقاً و ظهوره ، و قد خلق الكون بتسمية السماء ثم الأرض و خلق الإنسان بعد أن تعين اسمه و تم تقسيم العمل بالكلمة الآمرة الناطقة ، و هكذا استقرأ هذا المقطع من قصة جلجامش و أنكيديو و العالم الأسفل) السومرية :

" بعد أن تم ابعاد السماء عن الأرض .

بعد أن فصلت الأرض عن السماء

بعد أن حمل " آن " السماء

بعد أن حمل (أنليل) الأرض⁽¹⁾

خلاصة ما يقال عن أسطورة الخلق السومرية أن الدراسات العميقة لهذه الأسطورة تبين لنا بأنها لم تكن مجرد افكار بدائية بل تميزت بمرحلة عالية من النضج و القدرة على ربط مختلف الوقائع المرئية مع أفكار مجردة فمثلت قوى الحركة و العماء الآلهة " نمو " أي المياه التي صدر عنها كل شيء فانجبت الآلهة " نمو " ولدين "آن" اله السماء المذكر ، و أنكي " الهة الأرض المؤنثة و كانا ملتصقين ببعضهما و بأمهما " نمو " ومن ثم تزوج " آن " من "كي" و أنجبا " أنليل اله الهواء ، و كان اله الهواء يتمتع بالنشاط و الحيوية و لم يطق كونه محصوراً بين أبيه و أمه فقام بقوته برفع أبيه الى الأعلى ليغدو سماء و ابعاد أمه الى الأسفل لتصبح أرضاً بينما بقي هو بينهما لم يرق أنليل ذلك

1- خزعل الماجدي ، (بخور الآلهة) ، المرجع السابق ، ص 307 .

الظلام الدامس الذي كان يعيش فيه فانجب ابنه " نانا" اله القمر لتبديد الظلام لينجب الأخير " أوتو" اله الشمس الذي فاق أباه ضياء وبعد هذه المراحل قام انليل مع بقية الآلهة بخلق مظاهر الحياة الأخرى أما عن خلق الإنسان فكانت الغاية منها إيجاد مخلوق يخدم الآلهة يقدم لها الطعام و الشراب ليزرع أرضها و يرعى قطعانها .



الفصل الثالث

أنشطة الفهم الباطنية

كان لموضوع الخليفة وأصل الوجود نصوص أدبية متنوعة ومتعددة بعضها باللغة السومرية وبعضها باللغة البابلية، وقد عرف العصر البابلي القديم نشاطاً أدبياً واسعاً. إذ أخذ البابليون النصوص السومرية وترجموها إلى البابلية ومما يقال عن أساطير الخليفة المدونة بالسومرية أنها قصيرة وكثير منها ناقص وأخذ البابليون عن الإرث الأدبي السومري وحوروه بما يتناسب مع معتقداتهم.⁽¹⁾

تتوضع أفكار البابليين في الخلق والتكوين بشكلها الأكمل في ملحمة التكوين البابلية، وتعتبر هذه الملحمة إلى جانب ملحمة جلجامش من أقدم وأجمل الملاحم في العالم القديم فتاريخ كتابتها يعود إلى مطلع الألف الثاني ق.م أي قبل ألف وخمسمئة سنة تقريباً من كتابة الإلياذة وتكوين أسفار التوراة العبرانية وقد لقيت كثيراً من الاهتمام والدراسة من قبل علماء المسماريات. فإلى جانب الشكل الشعري الجميل الذي صيغت به الملحمة والذي يعطينا نموذجاً لأدب إنساني متطور فإنها تقدم لنا وثيقة هامة عن معتقدات البابليين ونشأة آلهتهم ووظائفهم وعلاقاتهم كما أنها تقدم لدارسي الديانات المقارنة مادة غنية بسبب المشابهات الواضحة مع الأصحابين الأول والثاني من كتاب التوراة.

يقول البعض أن تاريخ القصيدة يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد، بينما يقول آخرون "يعود تاريخ كتابتها إلى القرن العاشر قبل الميلاد، ولكنها نشأت قبل هذا التاريخ"⁽²⁾، ويقول سهيل قاشا، كانت القصة الأولى للخلق هي السومرية نحو 3000 ق.م. ثم تبعتها نصوص بابلية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (أي نحو 1500 ق.م) وكان آخر نص هو ملحمة الخلق البابلية (أينوما إيليش) التي أخذت شكلها النهائي في القرن السابع قبل الميلاد.. وقد نُظمت أصلاً في الألف الثاني قبل الميلاد، وفي كل النسخ يلعب مردوخ الدور الرئيسي. وقد بقيت هذه الملحمة تتلى في اليوم الرابع من احتفالات رأس السنة الـ"أكيتو" من شهر نيسان ولمدة ألفى عام في بابل، تُذكر الناس بسيادة النظام على الفوضى.. وقصص الخلق المتعددة لا تختلف في جوهرها

¹ - طه باقر، (مقدمة في أدب العراق القديم)، المرجع السابق، ص 71.

² - د. كارم محمود عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 55.

الفكري⁽¹⁾. إنما كانت تعدل جزئياً مع تبديل في أسماء الآلهة، حسب الهيمنة السياسية لكل مدينة، لأن لكل مدينة إلهها الرئيسي، فبعد أن كان (إنليل) هو الخالق في القصة السومرية أصبح (مردوخ) في البابلية⁽²⁾. انظر الملحق رقم 16 ص 113

وتدور ملحمة "الايونما إيليش" حول قصة خلق الكون والإنسان بعد صراع طويل بين الآلهة، وتمجد الملحمة مردوخ الذي هزم الوحش المائي "تيامات، تهاامات، أوتيامات " Tiamat، ويعتبر الكثيرون أن هذه الملحمة أفضل تعبير عن اللاهوت البابلي، وكان كهنة بابل ينشدون هذه القصيدة بأبهة وعظمة في عيد رأس السنة حتى سنة 500 قبل الميلاد، وتتألف القصيدة من 1100 سطر تم تجميعها من 60 نسخة تم اكتشافها في أماكن عديدة، ولاسيما في مكتبة الملك آشور بانيبال (673 - 668 ق.م) كما تم اكتشافها خلال فترات زمنية متباعدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين، وقد سجلت القصيدة على سبعة لوحات تشمل كل لوحة نحو 150 سطراً، واسم الملحمة مأخوذ كما هي عادة السومريين والبابليين من الكلمات الإفتتاحية في النص فالايونما إيليش تعني : عندما في الأعلى.

I _ خلق الآلهة:

تتخذ أساطير الخلق والتكوين مكان المركز في أي منظومة ميثولوجية، فهي التي تتحدث عن أصل الكون وعن أصل الآلهة وأنسابها ومراتبها.⁽³⁾

هذه القصيدة البدائية هي بمثابة الميثوس الأول لأصول الأشياء كلها، فهي تروي قصة ولادة الآلهة وتحديد الأدوار: أدوارها، وقصة التكوين وإطلاق عناصر الكون على مساراتها وفق نظام أقره الإله مردوخ.

تبدأ نصوص أساطير الخلق والتكوين بالأسلوب السردي، وهذا الأسلوب يجعلنا أمام حكاية تروى لنا. تأتي قصة خلق الآلهة في الألواح الأربعة الأولى وتتحدث عن البدايات الأولى للخلق،

¹ - عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا، دار الثقافة، دمشق، 2004، ص 162.

² - سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 110

³ - فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1990، ص 10.

وما أحدثته الآلهة الصغار من ضجيج مما أزعج الآلهة الكبار ولاسيما "أبسو" أبوهم، فأراد الخلاص منهم، وتذكر ولادة الإله البطل مردوخ وتفوقه على جميع الآلهة وقدرته على إحلال النظام وخلق الكون.⁽¹⁾

1: أول الخلق وبداياته

ذكرت قصة الخليفة على أنها في البدء لم يكن هناك شيء يذكر سوى العماء المكون من عنصرين إلهيين، "عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء.. وفي الأسفل لم يكن هناك أرض" كان هناك "إبسو" Apsu ويمثل المياه البدائية العذبة وهو يشكل عنصر الذكورة، "وتيامات" tiamat زوجة إبسو وتمثل المياه البدائية المالحة وهي تشكل عنصر الأنوثة.

بينما في الأعالي

لم تكن السماء قد سميت بعد

والأرض اليابسة في الأسفل

لم يكن أطلق عليها أي اسم

وحدهما أبسو الأول

والدهم

والأم تيامات

والدقهم جميعاً

كانا معاً يمزجان

مياههما

فلا منابت القصب كانت قد تكتلت بعد

¹ - سهيل قاشا، المرجع السابق، ص 118

ولا المقاصب كانت فيها ولم تكن قد أطلقت عليهم أسماء
ولم تكن مصائرهم قد قررت بعد.⁽¹⁾

وقد مزج إبسووتيامات مياهما معاً، كما كان هناك الإله "ممو" Mummu ثم أنجب
إبسووتيامات آلهة عديدة بدءاً من "لخمو" Lakmu و"لخامو" Lakkamu وقبل أن يكبرا
لخمو ولخامو، جاء إلى الوجود "أنشار" Anshar و"كيشار" Kishar. ثم أنجب إنشار وكيشار
ابنهما "أنو" Anu فكان أنو بكر انشار، ثم أنجب "أنو" ابنه "نوديموت" (أيا) على شكله، فصار
نوديموت سيد آبائه، وكان حكيماً وعظيماً وواسع الإدراك. أنظر الملحق رقم 16 ص 113

2: الآلهة الصغار تشيع الفوضى

قامتا الآلهة الصغار بإثارة الضجيج وهو الأمر الذي أزعج أبيهم "أبسو" فاصطحب
أبسو حاجبه "ممو" وشكى هؤلاء إلى أمهم "تيامات" قائلاً "لقد غدا سلوكهم مؤلماً لي.. في النهار
لا أستطيع الراحة، وفي الليل لا يخلو لي رقاد.. لأدمرهم، وأضع حداً لأفعالهم.. فيخيم الصمت
وتخلد بعدها للنوم..

هؤلاء الآلهة إخوته. حين

شكلوا تجمعا

وحين أحدثوا الجلبة

وحين جعلوا داخل تيامات يضطرب

أزعجوا بالعابهم.

فتح أبسو فمه

رفع صوته

وقال لتيامات

تصرفاتهم تزعجني

¹ - قاسم الشواف، ديوان الاساطير سومر واكاد و اشور ، ج2، الآلهة والبشر ، ط1، دار الساقى، بيروت لبنان ،
1996، ص 116.

وفي الليل لأنام

أريد افنائهم⁽¹⁾.

وفي اللحظة التراجيدية التي تقرر فيها الآلهة إفناء الآلهة الصغار يشتد الصراع بين الآلهة، بل يرتفع صوت العتاب بين الآلهة ذاتها، فتوجه تيامات اللوم إلى أبسوبعد أن ثار غضبها وصاحت بزوجها..

لماذا تريد أن تهدم بأنفسنا

ما نحن صنعناه

نعم تصرفاتهم بغیضة جداً

فلنتحل بالصبر والتسامح

الآلهة إذتدخل في حوار طويل، وهو سمة من سمات أساطير الخلق والتكوين في بلاد الرافدين، هذا الحوار يدور بين شخصيات كثيرة: الأم، الأب، الابن... لكن يبقى دور الأب هو الدور الرئيسي، كما أن الابن يقف إلى جانب الأب ويوافقه في كل القرارات التي يتخذها، ولا سيما قرار إفناء المخلوقات التي تزعجه، ويظهر ذلك من قول الابن مموناصحاً أبسو.. وفي غير صالح الآلهة جاءت نصيحة ممو..

أحمدُ إذن يا أبي

هذا النشاط الكثير الشغب،

لكي ترتاح فهاراً،

وفي الليل لكي تنام

فلما سمع أبسودلك، استضاء وجهه.. للخطط الشريرة التي يضمها لأولاده الآلهة.. ثم قام إليه ممو معانقاً.. وجلس في حضنه وقبله.. ولكن ما دار في مجلسهم من خطط.. قد وصل سمعه إلى أبنائهم الآلهة.. جلسوا صامتين، وسكنوا (حائرين)⁽²⁾

¹ - قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 120.

² - فراس السواح، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق، ص 46، 47.

الصراع القائم في أساطير الخلق بين الآلهة هو في الحقيقة صراع بين آلهة النظام وآلهة الفوضى، ومن المنطق أن تهزم آلهة الفوضى لأن الكون لا يمكن أن يستمر، وينمو، ويعاش فيه إن لم يكن خاضعاً للنظام، يتجلى ذلك بشكل واضح في أسطورة ولادة الآلهة ومدينة دونو، حيث يكون كل إله من الآلهة مكلفاً بتنظيم قسم من أقسام الحياة، وخلق كل ما تحتاجه من أدوات ونباتات... الخ.

في هذه اللحظة يتدخل الإلهايا، إله الحكمة، ويقوم بفضح السر للأبناء "المخلوقات"، ويخبرهم بقرار الآلهة، وأن عليهم أخذ حذرهم من نيات الآلهة والنص يجسد كيف أن الإله إياأفشى السر:

إلا أن كل ما أعده أبسو

خلال اجتماعهما

تم نقله

للآلهة أبنائهما

ولدى اطلاعهم على ذلك

اهتاج هؤلاء الآلهة

.....

.....

أيا الذي يتفهم كل شيء

كشف مخططهم.⁽¹⁾

لكن الأبناء لا يكتفون بالحذر وحسب بل يأخذون قراراً بقتل الإله الأب، ولم ينقذ هذا الموقف إلا الإله الحكيم "أيا" Eo الذي ضرب حلقة سحرية حول الآلهة الصغار ليحميهم من بطش "أبسو" ثم سحر "أبسو" فنام في سبات عميق، فأسرع وذبحه،⁽²⁾ كما أن "أيا" تمكن من

¹ - قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 122.

² - فاضل عبد الواحد علي، عا مر سليمان، تاريخ العراق القديم، ج2، مطبعة جامعة بغداد، بغداد 1980، ص 182.

"ممو" فأوثقه بجبل من أنفه وأغلق عليه في سجن محكم، ويقول فراس السواح "أنقض (أيا) على ممو(الضباب المنتشر فوق المياه الأولى) المعاضد لأبسو فسحقه وخرم أنفه يجره وراءه أينما ذهب، ومنذ ذلك الوقت صار "أيا" إله الماء العذب يدفع به إلى سطح الأرض بمقدار، ويتحكم فيه بمقدار، وهو الذي يعطى الأنهار والجداول والبحيرات ماءها العذب، وهو الذي يفجر الأرض عيوناً من مسكنه الباطني ومنذ ذلك الوقت أيضاً، يشاهد ممو فوق مياه الأنهار والبحيرات لأن آيا قد ربطه بجبل فهو موثق به إلى الأبد.⁽¹⁾

وحين يستقر الأمر للإله إيا، بعد أن ينتهي من القضاء على أبسو ويتخلص من الشر، أقام "آيا" فوق "أبسو" قصرًا "ودعا مسكنه الأبسو وجعله مقدسًا.. فيه بنى غرفة مقامًا لنفسه.. وسكن هناك مع زوجته دومكينا بكل أبهة وعظمة"، وبذلك يكون انتصار إياهو انتصار النظام على الفوضى.⁽²⁾

3 : ولادة الإله مردوخ

كان طبعياً أن ينقلنا النص بعد ذلك إلى الحديث عن ولادة الإله مردوخ الذي ستناط به فيما بعد كل الأمور المتعلقة بتنظيم الكون وتديره وتوزيع الأدوار فيه.

أنجب "أيا" و "دومكينا" ابنهما "مردوخ" Marduk ذو الأربعة أذان والأربعة عيون " بفن بديع تشكلت أعضاؤه.. لا تدركه الأفهام، ولا يحيط به خيال.. أربعة كانت آذانه، أربعة كانت عيونه.. تتوهج النيران كلما تحركت شفتاه.. اتسعت آذانه الأربعة، كما اتسعت عيونه فأحاط بكل شيء.. كان الأعلى بين الآلهة، ما لهيئته نظير" وأعجب به جده "أنو" فخلق الرياح الأربعة وسلمها لحفيده مردوخ.⁽³⁾

ولأنه معد للأمور المتعلقة بتنظيم الكون، فمن المفترض أن يتمتع الإله مردوخ بصفات خاصة ومميزة. فهو:

¹ - فراس السواح ، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق ، ص 42.

² - نفسه ، ص 44.

³ - كارم محمود عبد العزيز، المرجع السابق، ص 49

لم يرضع قط

سوى الأثداء الإلهية

والمرضعة التي ربته ملأته بحبوية فائقة

طبيعته كانت طافحة

ونظرته ساطعة

كان رجلاً كاملاً منذ ولادته

وبكامل قوته منذ البداية.⁽¹⁾

" مردوخ الذي أحدث الأمواج فاضطربت لها مقامة (تيامات).. قلقة صارت، تحوم على غير هدى.. والآلهة (الكبيرة) نسيت الراحة، في خضم العواصف.. مما يثير غضب الإلهة تيامات، ويتفاقم غضبها حين يتلاعب أولاد(أبسو) بعواطفها، ويطالبونها با لتقدم على مردوخ، وهو موقف إنساني يجسد الغيرة والحسد الملازمين للشخصية الإنسانية، أضمرُوا الشر في سرائرهم.. وجاءوا إلى أمهم تعامة(تيامات) قائلين..

عندما تم القضاء على أبسو

لم تدافعي عنه

وبقيت خرساء

أبسو قرينك

لم يعد فيك

ولا ممّو الذي قيد

وهكذا بقيت وحدك

ألست إذاً أمانة

ونحن الذين لا نستريح قط

¹ - قاسم الشواف ،المرجع السابق ،ص 124.

أنت: ألم تعودني تحيينا إذن؟

خلصينا من هذا النير المستمر

لكي نتمكن أخيراً من النوم.

وحين تسمع تيامت خطاباً ولادها ويجوز الخطاب رضاها تردد: بما أنكم قررت ذلك مجتمعين .. فلنصنع العواصف.⁽¹⁾

ولكن مجابهة الإله مردوخ لا يمكن أن تتم هكذا ببساطة، بل لا بد من الإعداد والاستعداد لها وتأمين كل ما تحتاجه المعركة، وتجهيز القوة اللازمة؛ فمردوخ ليس شيئاً عادياً فهو يتمتع بقوة خارقة و الآلهة راضية عنه .

هذه المجابهة التي هي عبارة عن صراع بين قوة الشر وقوة الخير، الفوضى والنظام، كما أكدنا سابقاً، هي ذروة التوتر في النص، والنتائج التي ستفضي إليها المجابهة هي التي سترسم للكون نظامه. ثارت تيامات وولدت تنانين وحيات وأسود وكلاب وعقارب، وأعدت العدة لسحق الآلهة الصغار مصدر الإزعاج " الأم هابور " .. خالقة الأشياء جميعاً.. أتت بأسلحة لا تقاوم، أفاع هائلة.. حادة أسنانها، مريعة أنيابها.. ملئت أجسادها بدل الدم، سماً.. (أتت) بتنانين ضارية تبعث الملح.. توجتها بهالة من الرعب وألبستها جلاله الآلهة.. يموت الناظر إليها فرعاً.. حتى إذا انتصبت لم تخنع ولم تدبر.. خلقت الأفعى الخبيثة والتنين وأبا الهول.. الأسد الجبار والكلب المسعور والرجل العقرب.. عفاريت العاصفة والذبابة العملاقة .. كلها مزودة بأسلحة لا ترد".⁽²⁾ ثم أقامت تيامات الإله " كينغو " على هذا الجيش المفزع ليحطم الآلهة الصغار "اختارت "كينغو"⁽³⁾ وجعلته علياً وعظيماً.. وضعته أمام جيشها قائداً.. فيشهر السلاح للمعركة ويبدأ الصراع.. إنه الأمر الأعلى للمعركة.. سلمته الأمانة، وأجلسته في الجمع قائلة.. لقد قرأت عليك تعويذتي، وجعلتك عظيماً في مجلس الآلهة.. وأسلمت إلى يدك قيادة الآلهة جميعاً.. فلتكن علياً عظيماً يا

¹ - قاسم الشواف ، المرجع السابق ، ص 127.

² - فراس السواح ، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق ، ص 49.

³ - كينغو : اسم قائد المعارك الذي اختارته تيامات زوجها حامل ألواح القدر راجع ستيفاني دالي ، المرجع السابق ، ص 477

زوجي الفذ.. وليلع اسمك فوق جميع الألهة.. ثم سلمت إليه ألواح الأقدار، وزينت به صدرهقائلة.. سيكون أمرك نافذاً وكلمتك ماضية.. ويعد أن جرى تنصيب كينغو وتسليمه السلطة العليا.

ومرة أخرى يكتشف إله الحكمة والمعرفة ما تضرره تيامات، فلما أحاط بالمسألة علماً.. أقعده الخوف وجلس في حزن عميق.. وبعد أن قلب الأمر وسكنت ثائرته.. مضى إلى جده أنشار.. فلما صار في حضرة جده أنشار.. أفضى إليه بكل ما تخطط له تعامة (تيامات)..⁽¹⁾

أي أبي

مولدتنا تيامات

وجهت نحونا حقدها

عندما عقدت مجلسها

أزبدت غضباً.⁽²⁾

ويعدد لوالده أنشار كل ما قامت به تيامات من استعداد، وما صنعت من قوة تريد من خلالها الانتقام والقضاء على البطل مردوخ.

فلما سمع أنشار ذلك وعرف بثوران تعامة (تيامات).. فضرب فخذه وعض على شفثيه.. كان حزنه عظيماً واضطرابه بالغاً.. كتم تأوهاتة.. ونادى "آيا" قائلاً قم يا بني وتأهب للقتال.. والأسلحة التي صنعتها، ستحملها الآن.. أنت يا من ذبحت أبسو.. قم الآن وأقض على كينغو الذي يتقدم جمعها".⁽³⁾ أطاع "آيا" جده أنشار، ولكنه ما أن أبصر قوة تيامات وجيشها، حتى قفل راجعاً إلى جده أنشار يقدم اعتذاره، ويطلب من جده أنشار أن يرسل "آنو" (والد آيا وإبن أنشار) عوضاً عنه، فطلب أنشار من "آنو" التوجه بالتصدي لتيامات " صرخ أنشار بغیظ عظیم.. وتوجه بالنداء إلى ابنه أنو..

¹ -فراس السواح، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق، ص50

² - قاسم الشواف، المرجع السابق، ص133.

³ -فراس السواح، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق، ص50، 51.

يا أول أبنائي

أيها البطل الرائع..

يا ذا القدرة الفائقة والانقضاء الجريء..

أَمْضِ الْآنَ وَقِفْ أَمَامَ تِيَامَات

لَعَلَّ رُوحَهَا تَهْدَأُ..

وَقَلْبُهَا يَسْكُنُ..⁽¹⁾

فلما سمع أنو كلام أبيه.. قام ملتمسًا طريق تعامة (تيامات).. وعندما اقترب منها وعرف كل ما تدبره.. أدرك عجزه عن مجابتهها وعاد من حيث أتى.. مضى في رعب إلى أبيه أنشار.. ولفظ أمامه ما تمتمه في سره لما رأى تعامة (تيامات).. إن ذراعي لا تكفيان لإخضاعها". لكن حين يفشل المقاتلون العاديون وحين يتعاضم الشر لابد أن يبرز البطل المعول عليه إنقاذ كل قيم الخير والجمال عارضًا نفسه على الإله القائد طالبًا تكليفه القضاء على الشر ومن يمثله.

أي مردوخ

استمع إلى نصيحة والدك

أنت ولدي

الذي تفرح به نفسي

تقدم نحو أنشار

مقتربًا منه كثيرًا وأمامه

أعلن عن نفسك وأنت واقف

وسوف يرتاح لرؤيتك.⁽²⁾

¹ - قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 134

² - نفسه، ص 135.

فوافق مردوخ لكن الذات عندما تواجه الخطر بما يحمل من ألم وأمل يمكن أن تتردد، وتبدأ بمناقشة الموقف الذي هي فيه، بل إنها، أكثر من ذلك، تفكر بالعودة عما أقدمت عليه:

عند ذلك اقترب الإله

ودرس نوايا تيامات

وكينغو قرينها

محاولاً كشف خططهما⁽¹⁾

ولأن الإله مردوخ قبل المنازلة وقبل خوض غمار المعركة كان عليه ان يفكر بالثمن الذي يجب أن يقبضه بعد أن ينتصر، فطالب الآلهة أن يجعلوه كبير الآلهة الذي له حق تقرير المصائر، وله السلطة المطلقة، فلا يرد أحد كلمته.

أعلن لي شخصياً

إذا كان علي

الانتقام لكم

والإطاحة بتيامات

لإنقاذكم

اعقدوا مجلساً

وامنحوني سلطةً فائقة⁽²⁾.

د : مردوخ وصراعه مع تيامات

قبل الآلهة بالعرض ودعى أنشار الآلهة لوليمة عظيمة فيمنحون "مردوخ" حق تقرير المصائر بدلاً منه، كما يمنحونه قوة الله الخالقة، فتح أنشار فمه..

متحدثاً إلى وزيره كاكا..

كاكا يا وزيرى الذى يفرح به قلبى..

¹ - قاسم الشواف، المرجع السابق ، ص152.

² - نفسه ، ص 154.

سأرسلك إلى خمو و خامو..

فأنت واسع الإدراك مجيد الحديث..

ادع آبائي الآلهة للحضور..

وليأت معهم جميع الآلهة..

فيجلس الجميع إلى مادبتي ونتحدث..

سنأكل خبزاً ونشرب خمراً..

وإلى مردوخ المنتقم فليسلموا أقدارهم⁽¹⁾

وعندما شرح الوزير كاكا الموقف المتأزم للآلهة " فلما سمع لخمو و لхамو ذلك، صرخا بصوت عال.. وكلا الأيجيى بكوا بحرق.. ومنهم نرجال وما الذي ألجأها لمثل هذا القرار.. إن سلوكها مستعصي على أفهامنا.. ثم جمعوا بعضهم وانطلقوا.. كل الآلهة التي تقرر المصائر (انطلقت).. والتأم الشمل في حضرة أنشار فامتلاأت قاعة الاجتماعات.. قبلوا بعضهم ببعضاً حين تلاقوا.. وجلسوا للمأدبة يتحاورون.. أكلوا خبزاً وشربوا خمراً.. فبدد الفرحمخاوفهم.. وانتشت أجسامهم بالشراب القوى.. زال الهمعن قلوبهم وسمت أرواحهم.. ولمردوخ المنتصر أسلموا المصير".⁽²⁾

تم تنصيب مردوخ ملكاً على الآلهة، وتجليسه على العرش، وتسليمه الصولجان، يجلس مردوخ على عرش الربانية وتحتفي به الآلهة " وأنت الأعظم شأنًا بين الآلهة الكبرى.. لا يدانيك أحد، وأمرك من أمر أنو.. ومن الآن فأمرك نافذ لا يرد. أنت المعز وأنت المذل حين تشاء.. كلمتك العليا، وقولك لا يخيب.. ما من إله يقارب حدودك.. مساكن الآلهة تستصرخ الحماية.. فزينها بحضورك. نجد في كل مكان ركنًا لك.. مردوخ أنت المنتقم لنا.. لك منحنا السيادة على العالمين.. وعندما تتصدر المجلس، كلمتك هي العليا.. لتكون أسلحتك ماضية ولتفتك بأعدائنا.. أيها الرب أحفظ حياة من وضع عليك اتكاله.. وأهدر حياة من مشى في ركاب الشر.. ثم أتوا

¹ -قاسم الشواف، المرجع السابق، 153.

² - فراس السواح، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق، ص 54.

بثوب فوضعه في وسطهم.. وقالوا ل بكرهم مردوخ.. سلطانك أيها الرب هو الأقوى بين الآلهة ليفن الثوب بكلمة من فمك..وليرجع سيرته الأولى بكلمة أخرى.. فأمر بإفناء الثوب، فزال.. ثم أمر به فعاد ثانية كما كان.. فلما رأى آباؤه الآلهة، قوة كلمته (الخالقة) ابتهجوا وأعطوه ولائهم:مردوخ ملكاً.. منحوه الصولجان والعرش والرداء الملكي..

وأعطوه سلاحاً ماضياً يقضى على الأعداء قائلين.. أمض وأسلم (تيامات) الحياة.. ولتحمل الريح دمائها للأماكن القصية".⁽¹⁾

واستعد مردوخ للمعركة، فعلق على جنبه القوس والجدعة ملاًها بالسهم المسنونة، كما حمل البرق أمامه، وكسا جسده بشعل ملتهبة، وصنع شبكة ليوقع بها تيامات، وجمع الرياح الأربع ليتصدى لها، كما صنع ريحاً خبيثاً وعواصف دوامة، وركب العربة المربعة والزوبعة التي لا تقاوم، واحتدمت المعركة الرهيبة، فوضع مردوخ سلاحه الرهيب فيضان المطر.. ولتيامات الهائجة توجه قائلاً..

كفى ما رأينا من عجرفتك وتكبرك..

لقد شحنت البغضاء قلبك فحرضت على القتال..

وأوقعت بين الآباء والأبناء..

فنسيت حب من أنجيت..

أعليت كينغو وجعلته زوجاً لك..

وأعطيته منزلة آنو، دون حق.

لتتقدمي إلي وحيدة في معركة ثنائية..⁽²⁾

فلما سمعت تيامات منه ذلك القول.. انتابها القلق وضاع منها الرشد.. في احتياج أطلقت صراخها عالياً.. وحتى الأعماق انتفضت ساقاها معاً.. ثم تلت تعويذة ووجهتها مراراً وتكراراً

¹ - د. كارم محمود عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 56-57.

² - قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 155.

(ضد مردوخ).. بينما آلهة المعركة تشحد أسلحتها.. ثم تقدما من بعضهما، اشتبكا في قتال فردى والتحما في عراك (ميت) انظر الملحق رقم 18 ص 115.

نشر الرب (مردوخ) شبكته واحتواها في داخلها.. وفي وجهها ثم أفلت الرياح الشيطانية التي تهب وراءه.. وعندما فتحت فمها لابتلاعه.. دفع فيفمها الرياح الشيطانية، فلم تقدر لها إطلاقاً.. وامتلاً جوفها بالرياح الصاخبة.. وقبضتها منتفخة، وفمها ثاغر على اتساعه.. ثم أطلق الرب من سهامه واحداً فمزق أعماقها.. تغلغل في الأحشاء وشرط منها القلب.. فلما تهاوت أمامه قضى على حياتها..⁽¹⁾

وحاول أتباع تيامات " الهرب " وما من سبيل، فهم محاصرون من كل جانب.. ضيق عليهم (مردوخ) وحطم أسلحتهم.. في شبكته وقعوا في الشرك ثم استقروا.. وتكأوا في الزوايا و فصب عليهم جام غضبه وهم محتبسون.. أما المخلوقات الإحدى عشرة التي خلقتها وألبستها الجلالة.. حشدت العفاريت التي مشت إلى جانبها.. فقد رماها جميعاً ، وربط أيديهم بعضهم ببعض.. وداسهم بقدميه، رغم كل المقاومة.. أما كينغو الذي وضع رئيساً عليهم.. فقد كبله وسلمه إلى إله الموت (سجيناً).. جرده من ألواح القدر التي حازها دون حق.. فبهرها خاتمه وزين بها صدره..

عاد مردوخ إلى تيامات، فصنع الكون من جسد هذه الإلهة الأم المندحرة، حيث شق جسدها نصفين، رفع النصف الأعلى، فكانت السماء، وبسط النصف الأسفل فكانت الأرض، ثم عاد إلى (تيامات) المقهورة.. وقف على جزئها الخلفي.. وبهراوته العتية فصل رأسها.. شقها نصفين.. وصنع تحته العوارض وأقام الحراس.. وأمرهم بحراسة مائها كي لا يتسرب".⁽²⁾

II/خلق الكون :

1-خلق السماء

ورد خلق السماء في قصيدة الخلق البابلية

حينما في العلى لم ينبأ عن السماء (لم تسم باسم)

¹ - فراس السواح، (مغامرة العقل الأولى)، المرجع السابق ، ص 59.

² - نفسه، ص 60

و في الدني (الأسفل) لم تذكر الأرض باسم
 و حينما كانت ميل (ابسو) الموجود الأول و الدهم و الأم (تيامة) والدّة جميعهم واحدة مختلطة
 نلاحظ هنا أن السماء لم تدع بإسم فهي لم توجد ثم تستمر الأسطورة " فجاء إلى الوجود "
 أنو" بكوهم و رثيهم و منافسهم
 أجل صار "أنو" بكر "أشنان" أيضا رع أباه⁽¹⁾
 و عليه فإن إله السماء حيث لم تسم السماء بإسم ثم تستمر الأسطورة و تصف الصراع بين
 (تيامة) و (مردوخ) و تصل لعملية خلق السماء
 شطرها نصفين
 وجه أحد نصفها إلى موضوع مكون (بذلك) السماء
 ثبت الركائز (و) عين الحراس
 و أمرهم ألا يتركوا ماءهم يشرب
 نلاحظ من أسطورة خلق السماء ما يلي :
 أن السماء لا تعني إله السماء و إنما وجدت بعد ولادة هذه الألهة
 الذي قام بخلق السماء هو الاله مردوخ
 ان مادة السماء هي مادة أزلية جاءت من جسد (تيامة) و هي مادة و اله في الوقت نفسه ، أي
 المادة الأزلية وجدت منذ البدء و لم تخلف و أن الإله (مردوخ) أعاد تشكيلها محولا إياها إلى
 السماء و ثار مردوخ على تيامات و اشطر جسمها فعمل من الشطر الأول سماء و من الشطر الثاني
 الأرض.⁽²⁾

2-خلق الأرض:

فيما يتعلق بخلق الأرض نذكر في مطلع القصيدة البابلية :

¹ - محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 64

² - نفسه، ص 65

" عندما في العلى لم تكن السماء قد سميت و الأرض لم يكن قد ظهر بعد إسمها⁽¹⁾
 بدأت أحداث هذه الأسطورة حيث لم يكن هناك الكون و الألهة و لم يكن موجود سوى
 فوضى مؤلفة من المياه الممتزجة و هي " أبسو" الذي كان هو لجة الماء العذب و(تيامة)وهي محيط
 الماء المالح ثم خرجت من هذه الفوضى كائنات إلهية بدائية و بعد ذلك اتخذت هذه الآلهة شكلا
 واضحا فبعد الصراع تمكنا الاله (مردوخ) من قتل (تيامة) الها ئجة الغاضبة ثم شق جسدها إلى
 شطرين رفع أحدهما لخلق السماء :

شقها مثل سمكة إلى نصفين

ثبت أحدهما عاليا ليكون السماء

و وسع الأبسوه

حيث مقام نود يمود (أيا)

قاس أبعاد الأبسو"

وعلى هذا الأساس فإن خلق الأرض لم يرد بصورة صريحة و لكن يمكن القول أن هناك ثلاث
 احتمالات للخلق بحسب ما جاء في الأسطورة : أن الأرض سقف المياه العميق (أبسو) و بالتالي
 مسكن(أيا) هو الأرض نفسه و يوافق مدلول اسم (أيا) في السومرية (أنكي) كما خلق (مردوخ)
 من شطر (تيامة) الآخر الأرض إلى الجزئين الرئيسيين من الكون يتمثلان في باطن الأرض و في
 السماء و من هنا أهملت الأسطورة الإشارة إلى عملية خلق الأرض باعتبارها جزء قائما بذاته... و
 لكنها في نفس الوقت اشارة إلى المادة التي ستخلق منها أي الشطر الثاني من جسم (تيامات)⁽²⁾ و
 هكذا كون جسما صلبا فوق المياه و هي الأرض⁽³⁾

¹ - كيرا ادوارد ، كتبوا على الطين : رقم الطين البابلية تتحدث اليوم ، تر : محمود حسين الأمين ، ط2 ، دار المثني ، بغداد،

1964 ، ص 14

² - محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 91

³ - سيد محمود القمني ، قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ، (د،ن) ، (د.م)، (د،ت) ص 113

3- مردوخ ينظم الطبيعة

نظم الإله مردوخ العالم السماوي بعد ذلك ، و كان على برج مردوخ و بذلك ابتعد أقل من سواه عن مدار الخسوف و الكسوف⁽¹⁾ ليواصل الإله مردوخ صناعة و تنظيم الطبيعة من جسد تيامات ، وأصبحت تعرف أن نهر دجلة و الفرات ينبعان من عينيها و ان كل جزء من جسدها له علاقة بالطبيعة لكن مردوخ كان هو الذي يقوم بهذا الدور كاملاً² فوضع منازل الآلهة و خلق الأبراج و ثبتها في أماكنها ثم حدد الأزمنة جاعلاً بذلك السنة فصلاً و سلط القمر على الليل و جعله زينة له ليعرف الناس بمواعيد الأيام و أقام لنفسه بناء هائلاً أسماه (عشتار الأرض) و أخذ من لعب "تيامات" فخلق الغيوم و حملها بالمطر الغزير و خلق أيضاً من لعبها ضباباً ، ثم عهد إلى رأسها فصنع منه تلالاً و فجر من أعماقها مياهها فاندفع من عينيها نهر الدجلة و الفرات⁽³⁾ وجاء في اللوح الخامس من أسطورة الخلق البابلية ما يلي :

خلق مردوخ محطات لكبار الآلهة (يستريحون بها)

أوجد لكل مثيله من النجوم

حدد السنة و قسم المناخات

و لكل من الإثني عشر شهر أوجد ثلاثة أبراج

و بعد أن حدد الأبراج وأيام السنة

خلق كوكب المشتري ليضع الحدود

فلا يتعدى نطاق في السماء مكانه و لا يقصر عنه

و على جانبه خلق محطتي أنليل و أيا

فتح بوابتين في كلا الجانبين

¹ - مارغيتروتن ، تاريخ بابل ، تر زينة عازا ، ط 2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1984 ، ص 128

² - خزعل الماجدي ، انجيل بابل ، ط 1 ، مشورات الأهلية ، لبنان ، 1998 ، ص 31

³ - فراس السواح ، (الأسطورة و المعنى) ، المرجع السابق ، ص 40

دعمهما بأقفال قوية على اليمين و على الشمال و في المنتصف تماما ثبت خط السميت خلق منها الغيوم و حملها بالمطر و الزمهرير⁽¹⁾

4_خلق النبات و الحيوان :

لم يتم العثور حتى يومنا هذا على ذكر لكلام عن خلق حياة نباتية أو حيوانية أو طيور أو زواحف أو أسماك ، و أيا كان الأمر فإن خلق الحياة النباتية قد نص عليه اللوح السابع حيث يشار إلى أن الآله (مردوخ) هو :

" خالق الحبوب و البقول ، الذي جعل العشب الأخضر ينمو "

في البدء و قبل أن يعين (للعالم) شكله

هبط على الأرض ، نشد العمال

عند ذلك و البذرة الساق ، و الساق

العقدة و العقدة السنبل حبة إلى شعيرة

كما ورد أيضا عن الإله مردوخ أنه⁽²⁾

قام بخلق الوحوش وبعض الحشائش ، و خلق الخشب الأخضر في الحقل وخلق البلدان والأهوار ، والأدغال فخلقالبقرة و عجلها الصغير ، النعجة و حملها ، أغنام الحظيرة ، البساتين والغابات ، الأغنام البرية ، وأغنام الصوف خلق القصب و خلق الشجرة⁽³⁾ انظر الملحق رقم

19ص115

و في رقية الدودة و وجع الإنسان يرد :

و أنجزت المستنقعات خلق الدودة⁽⁴⁾

¹ - فراس السواح ، (مغامرة العقل الأولى) ، المرجع السابق ، ص 76

² - محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 160

³ - قاسم الشواف ، المرجع السابق ، ص 162

⁴ - فراس السواح ، (مغامرة العقل الأولى) ، المرجع السابق ، ص 60

كما أن هناك علاقات تبدو منطقية ، مثل تفسير خلق الشعيرة و تسلسل العمليات الزراعية و أن عمليات الخلق مبينة على المراقبة مثل خلق الدودة من المستنقعات ، وردت في بعض المعطيات حالات مسخ بعض البشر إلى حيوانات⁽¹⁾ انظر الملحق رقم 17. ص 115

III - خلق النجوم و الكواكب

1- القمر (سين)

في كبد تيامات وضع مردوخ في أعالي السماء
و أضاء فيها (نار) و أودعه الليل
و عين له أن يكون جوهرة الليل لتحديد الايام
قسم بقرصه بدأ الشهر على البلاد
و (نار) هو إسم (سين) إله القمر.

جعل وجود القمر عن طريق خلق الأله (مردوخ) إياه

إن المادة التي خلق منها القمر هي مادة أزلية متمثلة بجسد (تيامات) إن مفهوم اله القمر (سين) يعني القوة الكامنة و المسيرة للقمر بما هو جرم سماوي⁽²⁾ ، و آلهة الكوكب حيث ان سين (القمر) و ابنه نبو (عطارد) و من سين ظهر شمش (الشمس) و عشتار (الزهرة) فمردوخ يلد النور و الظلام و يتجسد في الكواكب ، أما الظلام فهو ما يحيط بهذه الكواكب و في العالم الأسفل الذي يقع تحت الأرض

إله القمر الذي عين مردوخ
له مدينة (أور) تزوج الأله سين
من الاله ننجال فأنجب ولده العظيم شمش (إله الشمس)
و سين بالكشف ، أعطاهم أسرار السحر
و الفنون والنبوة و الشتاء هو المدبر

¹ - سهيل قاشا ، المرجع السابق ، ص 143

² - محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 69

الحكيم الذي منح حفيده شمش الميزان⁽¹⁾

ثم أخرج القمر فسطع بنوره و أوكله بالليل و جعله حليلة له و زينه و ليعين الأيام أن أطله كل شهر دون انقطاع مزينا بتاج و في أول الشهر عندما يشرق على كل البقاع سيظهر بقرنين بعينان ستة أيام⁽²⁾ كما حدد البابليون طول السنة⁽³⁾

2- الشمس (شمش)

تقول أسطورة الخلق البابلية أن الإله مردوخ بعد أن خلق السماء و الأرض رسم للشمس طريق الشروق و الغروب و وضع لها أبواب تفتح و تقفل و يرد أن الإله (شمش) يدخل الدنيا من خلال البوابة الشرقية للسماء و أن الشمس ما هي إلا عجلة في مركبة الإله (شمش) النارية يعد الإله (شمش) هو القوة الكامنة و المسيرة لجرم الشمس الموجود و قد خلقت الشمس من العمر ، و طريق سيرها قد رسمه الإله مردوخ⁽⁴⁾، اذ يقابل مردوخ عند البابليين لأن أشعة الشمس تنفذ إلى كل مكان و تطلع على كل شيء ، فقد أصبح لها للعدالة و احقاق الحق و بصفته بصيرا يرى كل شئ لعب دورا هاما عند البابليين ، و كانت أهم أماكن عبادة الإله الشمس في (سيبار) شمال بلاد الرافدين و لارسا في جنوبها⁽⁵⁾

تنتشر على الأرض و الجبال و البحار و انت تمسكه بأطراف الأرض المعلقة من وسط السماء و تحرس كل ما خلقه إيا فأنت راعيه أنت راعي العالم الأسفل و حامي العالم الأعلى
انت يا شمش دليل كل شيء و نوره لا احد من الآلهة يجهد نفسه تملك على الدوام بعدالة (شمش) و قوة مردوخ فعاش الآلهة العظام بسلام.
انك تضيء الكون و الخيال و تكشف الأسرار كل ما خلقه أيا أو كله اليه

¹ - خزعل الماجدي ، (أنجيل بابل)، المرجع السابق ، ص 48

² - فراس السواح (مغامرة العقل لأولى) ، المرجع السابق ، ص 77

³ - كلكتشوف ، الحياة الروحية في بابل ، الإنسان ، الصبر ، الزمن ، تر ، عدنان عاكف حمودي ، ط1 ، دار المدى للثقافة و

النشر ، سوريا ، 1995 ، ص 16

⁴ - محمد فهد القيسي ، (المرجع السابق) ، ص 70

⁵ - خزعل الماجدي (إنجيل بابل) ، المرجع السابق ، ص 50

حتى الشياطين في العالم الأسفل

المقيدين بالسلاسل يحصلون على ضوءك ، لم تتأخر يوما عن أخبار السماء

جعل وجود القمر عن طريق خلق الأله (مردوخ) أيا⁽¹⁾ أنظر الملحق رقم 10 ص 117

3- الزهرة : (عشتار)

معبودة رئيسية في البلاد و هي الآلهة الأم و لكنها عذراء في الوقت عينه و باتصالها بالاله "تموز" جعلت من نفسها محبوبة بما لها من حق و سلطة ، و كانت في الوقت نفسه إلهة الخصب تمنح الأمهات أطفالهن ، و الزروع و النباتات خضرتها و أيراقها كانت ملكة السموات و النجوم و كان مقدارها أن تنشر عبادتها إلى الغرب إلى فلسطين و مصر ، وحتى أتباع دين فارس لم يقوموا على مقاومة نفوذها و بعد تغير إسمها إلى "أناهيتا" أي الطاهرة ، جعلوا لها نفوذا لا يقل عن نفوذ "أورمان"⁽²⁾

- الجهد لعشتار أكثر الإلهات رهبة

و الإجلال لسيدة السماء

لقد ألبت السرور و الحب و حملت بالحوية و السحر ، و الرغبة عشتار قد لبست السرور و الحب و عند ظهورها يكتمل السرور هي الجلييلة و على رأسها وضعت التاج المقرن و في نظرتها تجد الفرحة و العظمة و الإله القاحط و الملائح الحارس عشتار مقامها عظيم بين الآلهة و كلمتها عظيمة و سامية بينهم هي ملكتهم و هم بإستمرار ينفذون أوامرها كلهم يسجدون أمامها و يستقبلون نورها ، كلمتها هي الأولى في مجلسهم ، إنها العليا عشتار تساندتهم أمام أنو ملكهم⁽³⁾

إنها الزهرة نجمة الصباح⁽⁴⁾

¹ - خزعل الماجدي (أنجيل بابل)، ص 51

² - حبيب سعيد ، أديان العالم ، دار التأليف و النشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 48

³ - خزعل الماجدي ، (أنجيل بابل)، المرجع السابق ، ص 81

⁴ - سبتينوموسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، تر السيد يعقوب ، الهيئة المصرية ، للكتاب ، مصر ، 1997 ، ص 75

IV- خلق البشر

1- بدايات الخلق :

نجد أفكار جديدة حول خلق الإنسان ، حيث يرد أن الاله (مردوخ) خاطب الاله (أيا)⁽¹⁾ بعد أن فرغ من خلق الكون :

أريد أن أصنع شبكة
من الدم و أكون هيكلًا عظيمًا
و أصنع كائنًا بشريًا
و لكن إسمه الإنسان
أريد أن أخلق هذا الكائن البشري
هذا الإنسان
ليقوم بخدمة الآلهة
فيعيش هؤلاء بسلام
ثم يخاطب الاله (أيا) الإله (مردوخ)
ليس واحد من بين الآلهة فقط
ومن كينغو نصنع الإنسان⁽²⁾

فالإنسان خلقه الاله أيا بطلب من مردوخ و أنه خلق من دم اله فقط و وردت هذه المقطوعة في اللوح السادس من أسطورة الخلق البابلية و رد في اللوح السابع من الاينو ما ايليش أن مردوخ

¹ - أيا : بالسومرية إنكي ، إله المياه العذبة ، و الحكمة ، و التعاويذ مساعد الإنسانية الذي أرسل الحكماء السبعة لتعليم الإنسان مهارات الحضارة و فنونها سكن في أسبو مركز عبادته : أريد ودعي معبده إي — أنكور ، و إي ، أسبوا : زوجته دمكينار رمزه سمكة ، عتزة ، وتاج ذو قرون فوق مزار مقسها أنظر: ستيفاني دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين الخليقة ، الطوفان ، كلكامش ، غيرها تر : نجوى نصر ، ط2 ، بيان للنشر و التوزيع و الإعلام ، بيروت ، 2011 ، ص 48

² - فراس السواح (مغامرة العقل الأولى) ، المرجع السابق، ص66

(خلق الناس جميعا) إن اسطورة لخلقية البابلية تنص على وجود شيء ما من الالهة في الإنسان و هذا الشيء هو الحياة نفسها ممثلة في الاله (كينغو)⁽¹⁾

كما يحتل خلق الانسان شطرا لا بأس به من الرقيم السادس من ملحمة " الاينوما إيليش " اذ تخبرنا الملحمة ان الإله " مردوخ " بعد أن يقوم بتأسيس الدورة السنوية و نظام الأشهر , وبعد تأسيس الطرق الفلكية الثلاث يفكر عندها بان يريح الآلهة و بعد ان استشار " مردوك " أباه " أيا " "خلق الانسان من خليط الطين و العظم و الدم ليكون في خدمة الآلهة و بعد هذا الجهد القاسي , الذي بذلته الآلهة , ركنوا للراحة , حدث مردوخ أيا قائلا :

اني خالق دماء , اني خالق عظما

منها سأخلق الانسان

سأخلق الانسان ليعلم الآلهة

أفك أسر الآلهة , احررها من عبوديتها .⁽²⁾

تشير الملحمة صراحة الى ان الاله الذي خلق الانسان من دمه هو " كينغو " زوج " تيامات "

من منكم أوغر صدر تيامات

كينغو هو الذي ثار

قتل كينغو , قطعت شرايينه , و سال الدم .

توحي عملية خلق الانسان و بشكل صريح , بوجود جزء إلهي " دم كينغو " في الذات الانسانية أي بوجود جزء غير قابل للفناء للإنسان .

2- خلق الانسان " لولو " lullu

تتميز قصة الطوفان البابلية " اتراسيس " عن غيرها من المراجع المسمارية ذات العلاقة بخلق الانسان , بانها تحتوي على تفاصيل وافية عن عملية الخلق , و تحكي القصة بان الآلهة العظام " أنو " و " انليل " و " ايا " اجتمعوا ليتدبروا امر التمرد الذي قامت به الآلهة ثم ارسلت الآلهة العظام

¹ - محمد فهد القيسي ، المرجع السابق ، ص 138 - 139

² - قاسم الشواف ، المرجع السابق ، ص 166

بمشورة "أيا" في طلب "ننتو" "nintu" إلهة النسل لتخلق الإنسان الذي عبر عنه النص البابلي بكلمة "لولو" (LULLU) "ان الأمر بيد "أيا" الذي كان بحوزته الطين الطاهر للواجب توفره لخلق الإنسان و كان على "إيا" أن ينجز طقوسا معينة - كالاغتسال في أيام معينة من الشهر و بعد اتمامها جيء بالإله "وي إيلا we-ila تطير كنجو" في ملحمة ثم تسمع الألهة إلى قرع الطبول لفترة من الزمن ، يلي ذلك مباشرة ظهور الروح في الطين الممزوج كما ذكر أن الإله "أيا" خاطب "تشو" إلهة النسل "أنت يا إلهة النسل القادرة على خلق البشر.⁽¹⁾

أخلقني لو لومن أجل أن يحمل النير

للألهة العظام

ليس لي أن أقوم بذلك

فإن المهمة تقع على عاتق أنكي

فهو الذي يظهر كل شيء

فليعطني الطين لكي أبدأ بالعمل

ثم فتح إيا فاه و قال للآلهة العظماء

" فليذيع إله "وي ، إيلا ، صاحب الشخصية"

بلحم و دم هذا الإله

لتمزج "ننسو" طينا

ليصبح الإله و الإنسان

ممزوجين في الطين⁽²⁾

فكانت الروح من لحم الإله

و نودي بالإنسان الحي رمزا لها⁽³⁾

¹ -كارم محمود عبد العزيز ، المرجع السابق، ص 61

² - فيصل الوائلي ، من أداب العراق القديم ، مجلة سومر ، المجلد 19 ، ج 1+2 ، مديرية الآثار ، بغداد 1963 ، ص 15

³ - جاسب مجيد جاسب الموسوي ، الدين و المعتقد في حضارة بلاد وادي الرافدين و أثره في الفكر الديني في حضارة بلاد إيران خلال المدة (300ق.م - 624 م) دراسة مقارنة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2007 ، ص 154

يمكننا القول عن أسطورة الخلق البابلية (الإينو ما إيليش) التي تعني عندما في العلا ، هذه القصيدة البدائية هي بمثابة الميتوس الأول لأصول الأشياء كلها تروي قصة ولادة الآلهة و تحديدا أدوارها و قصة التكوين و إطلاق عناصر الكون على مساراتها فوق نظام أقره الإله مردوخ ، كما تروي قصة خلق البشر و تقرير مصيرهم و دورهم كبشر و قد دونت على سبعة ألواح تحوي كل لوحة حوالي 150 سطرا أي بمجموع 1079 سطرا كامل القصيدة و قد أسبغت عليها صفة القدوسية (الكتاب الديني) ، إذا كانت تتلى أثناء احتفالات رأس السنة (الأكيتو) في مدينة بابل و على مدى حوالي ألفي عام ، فكانت أبكر مرحلة من مراحل الكون ، و هو بعد فوضى العماء كانت هذه الهيولة تتألف من عناصر ثلاثة متداخلة " أبسو" يمثل المياه العذبة و تيامت و تمثل المياه المالحة ، أما "ممو" فهو الضباب المشرق فوق تلك المياه و الناشئ ، عنها هذه الكتلة المائية الأولى التي كانت تملأ الكون ، و هي العماء الأول الذي انبثقت منه فيما بعد بقية الآلهة و الموجودات.

خاتبة

يمكن أن تستخلص من دراستنا لموضوع أساطير الخليقة في بلاد الرافدين عن جملة من النتائج نلخصها في الفقرات الموالية :

يمثل الأدب أولى محاولات الانسان للتعبير عن الحياة وقيمتها بأسلوب الخيال والفن ، وعلى الرغم من ابعاله في القدم وسبقه جميع الآداب فإنه يتسم بالصفات الأساسية التي تميز الآداب العالمية المشهورة سواء أكان ذلك في ناحية الأساليب وطرق التعبير أم من ناحية الموضوع والمحتوى أم من ناحية المخيلة والصور الفنية. ان الأدب الرافدي القديم له أهمية خاصة في فهم مقومات حضارة وادي الرافدين وأوجهها المختلفة و الطابع المميز لها فان النصوص الأدبية التي وصلتنا مثل ملحمة جلجامش الشهيرة وقصص الخليقة والأساطير الخاصة بأصل الوجود والأشياء وغيرها من القطع الأدبية

تعد عند الباحثين منجما زاخرا يستقون منه أسس هذه الحضارة واتجاهاتها وعقائدها الأساسية ،فهي أصدق ماينقل لنا أحوال أقدم المجتمعات الإنسانية وعقائدها ونظرتها الى أصل الأشياء والألهة ونظام الحكم ،كما تصور الأساطير أحوال البيئة والطبيعة التي قامت فيها تلك الحضاراتان طبيعة أدب بلاد الرافدين وموقفه من الدولة و موقف الدولة منه كان مرتكنا بطبيعة هذه الدولة وبنيتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذا جاء حاملا معه متطلبات الحياة من أفكار وتصورات كونية هي ظلال الحياة ،هذا وما تعرض له الفرد من خلال هذه الكلية التي ضمت ضروريات الحياة والطبيعة الى ضروريات الحياة الاجتماعية . ان لهذا الأدب أهمية خاصة في تاريخ تطور الحضارات البشرية و الفكر الإنساني.

وهذا باجماع مؤرخي الحضارة على عظم التراث الذي خلفه ذلك الأدب في الحضارات القديمة الأخرى والثقافات المعاصرة ،فهو على ذلك لا يقتصر على كونه أدبا قديما ،مثل دوره في الحضارات القديمة الأخرى والثقافات المعاصرة ،فهو على ذلك لا يقتصر على كونه ادبا قديما ،مثل

دوره في تطور الفكر البشري ومات بل انه لايزال حيا عن طريق التأثيرات التي خلفها في اداب الحضارات الأخرى .

من غيرالممكن الحديث عن الأساطير المتعلقة بأمور الخلق والتكوين في حضارة وادي الرافدين جملة واحدة ذلك أن هناك العديد من الأفكارالأسطورية حول الخلق بدأها السومريين ثم طورها البابليون بعد ذلك،ولكي تتضح معالم هذا التطور يجب الحديث أولا عن أفكار الخلق السومرية التي لم تتبلور في أسطورة متكاملة ،ثم يتبعه الحديث عن أفكار الخلق البابلية التي تبلورت في عدة أساطير بعضها كامل وبعضها الآخر إشارات للخلق وردت في أساطير أخرى .

من المعروف أنه لم تستخلص أساطير سومرية تعالج بشكل مباشر وصريح خلق الكون،الا أن النصوص المتفرقة التي تم العثور عليها والمتعلقة بالأفكار الكونية.السومرية تكاد تعطينا صورة واضحة عن أفكار السومريين بهذا الشأن وتطرقهم اليه ، ولم تكن أفكارهم أفكار بدائية بل ناضجة با لدرجة التي تتيحها معارف تلك الفترة من بداية حضارة الانسان، فقد أبدى السومريون مقدرة فائقة على الملاحظة الذكية والربط واستخلاص النتائج المنطقية من المقدمات والحقائق والوقائع المشاهدة، وان دراسة النصوص الأسطورية المتفرقة تعطينا التسلسل لعملية خلق العالم والكون .

لم يكن الخلق مهمة تولاهها اله واحد في سومر فبعد الاله أنليل نجد الاله أنكي يتابع ما بدأه أنليل ويضع اللمسات الأخيرة عن صورة الكون فيملاً دجلة والفرات ماء نقيا ثم يأتي خلق الإنسان .

ولعل الصراع ما بين الألهة القديمة والحديثة وتغلب الأخيرة وإحلالها النظام بدلا من العماء وخلق الكون والإنسان كل هذا وغيره يصور لنا صراع العراقيين الأوائل مع بيئتهم الطبيعية والسيطرة عليها.

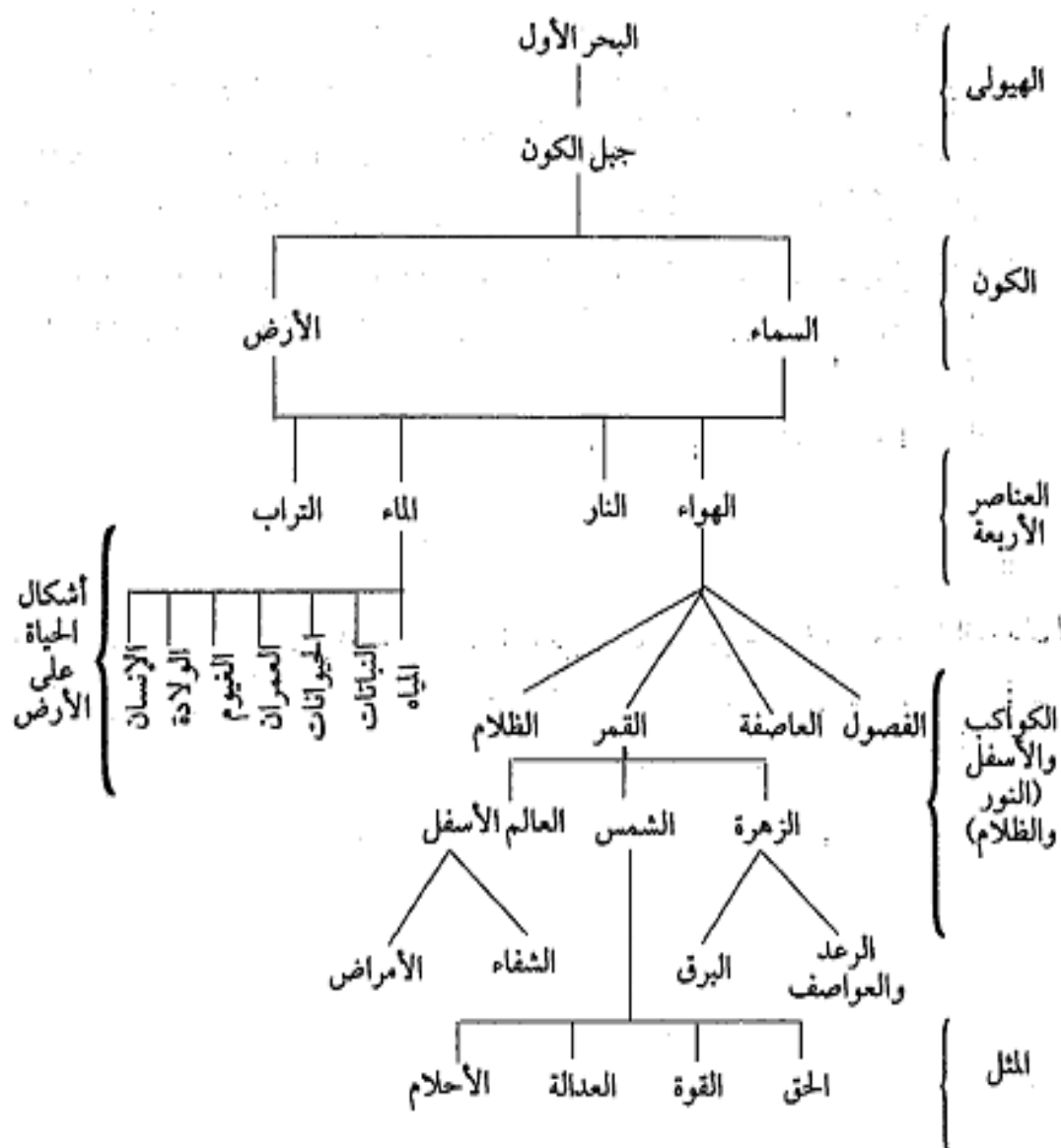
تتضح لنا عملية خلق الكون وإيجاد نظام له في أسطورة الخلق البابلية الإينوما إيليش بوجه عام فيها لم تتم بعملية هادئة كما عكست البيئة الرافدية التي تميزت بالمفاجأة على أصل الخليقة في أنها صراع وكفاح بين الالهة، في حين لا نجد أثر الصراع في أساطير أخرى و بالأخص أسطورة الخلق السومرية .

إن معظم النصوص البابلية ناقصة بسبب الحالة التي وصلت عليها الألواح والتي إحتوت على أساطير الخلق.

من المثير للإنتباه أن البابليين المحافظين على بعض عناصر الموروث الأمومي وصنعوا مع الالهة المؤنثة الخالقة إله ذكر حيث نجد المشهد يجمع مياه النهرين العذبة بمياه البحر المالحة.

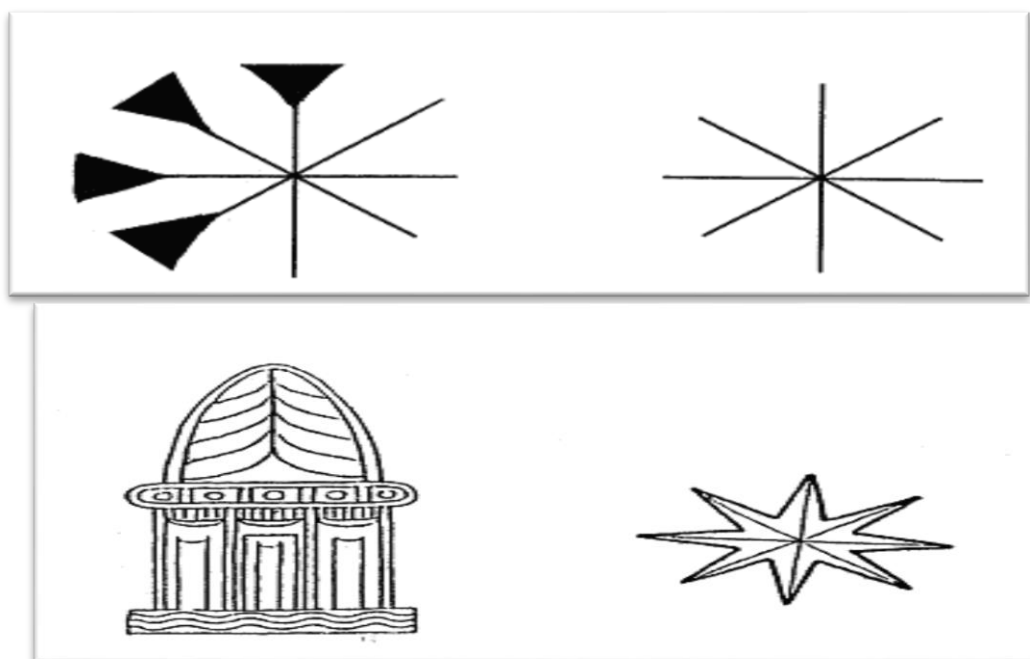
وهكذا نجد ان الخلق البابلي لم يختلف كثيرا عن الخلق السومري بل رددت مفاهيم سومرية حول الالهة وطبيعتها مع إختلافات وتعديلات تتلاءم مع التطور الذي لحق بالحضارة البابلية .

الله

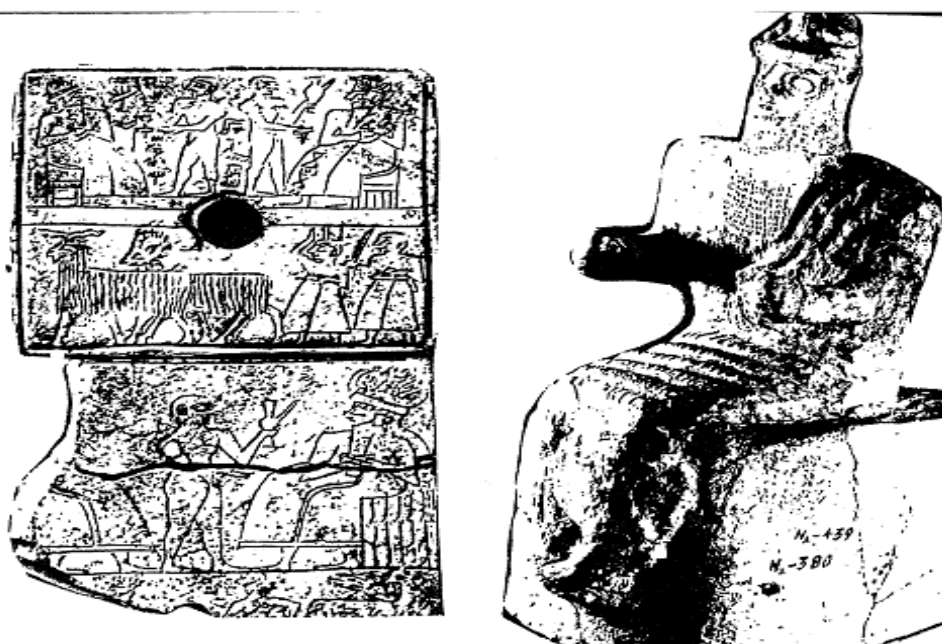


ملحق رقم 1 : العمق الفيزيائي و البايولوجي للآلهة السومرية

المصدر : خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 87



صورة رقم 1 : رمز الاله أنو



الصورة رقم 2 : تمثال الاله انليل

الملحق رقم 02 : رمز الاله أنو وتمثال الاله انليل

المصدر : خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 89 .



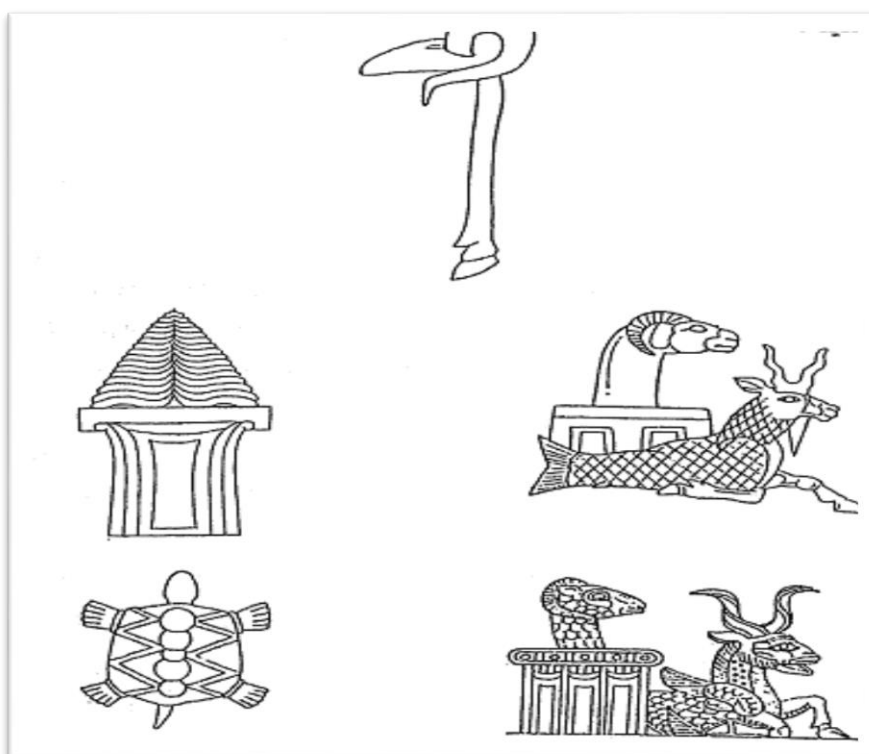
الصورة رقم 1 : الفأس رمز العمل و رمز انليل



الصورة رقم 2: رمز الاله انليل

الملحق رقم 03 : يبين الفأس رمز عمل الإله أنليل.

المصدر : خزعل الماجدي ،متون سومر ،المرجع السابق ، ص 175



الصورة رقم 1: رموز الاله انكي



الصورة رقم 2: الاله انكي

الملحق رقم 04 يبين رمز الإله أنكي

المصدر : خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 101

النباتات المحرمة السامة التي أكلها إنكي	أعضاء إنكي التي أصبحت بالمرض بعد أكلها	الآلهة المشافية التي خلقتها تنخرساج لشفاء تلك الأمراض	المصير الذي قرره إنكي للآلهة المشافية بعد شفائه
١ . النبتة المشجرة	الرأس	آبا - أو (أبو)	ملك أو إله النباتات
٢ . النبتة الحلوة (العسل)	الشعر / الفك / الورك	ننسيكلا ، ننتول	إلهة (ماكان) عَمان والإلهة الحامية لدلون
٣ . نبتة الطريق	الأنف / السن	ننكييري ، نسوتو	زوجة ننازو
٤ . نبتة الماء (أنومون)	الفم	ننكاسي	إلهة الشراب (الإلهة التي تشبع شهوة القلب)
٥ . نبتة الشوك	الحنجرة	نازي	زوجة نندارا
٦ . نبتة الكبر (ذات الأزرار)	الذراع	أزيموا	زوجة ننگشسزيدا
٧ . نبتة الـ	الضلع	نتتي (الإلهة التي تحبي ، حواء)	إلهة الشهور
٨ . نبتة القاسيا (أكاسيا) الأمخارو	المتون	إنشا أج ، إينشاج (إنزك)	إله دلون

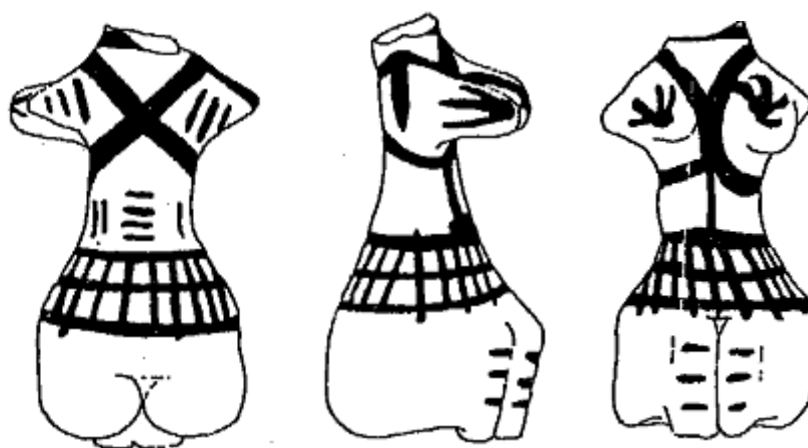
الصورة رقم 1 : تكوين إنكي في دلون

الملحق رقم 05 يبين تكوين إنكي في دلمون

المصدر : خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 147 .



الصورة رقم 1: عبادة الآلهة الام

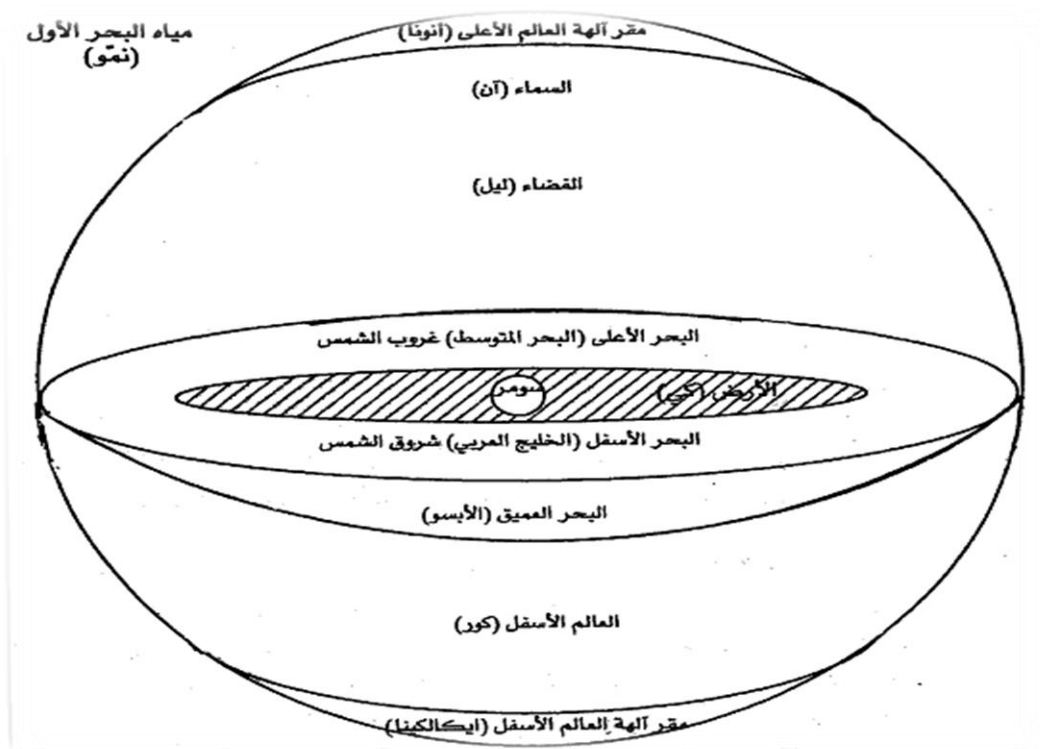


الصورة رقم 2: تماثيل طينية للآلهة الام

الملحق رقم 06 يبين رمز الإلهة الأم

المصدر بقعة بلخير ، اثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سومر و بابل 3200_539

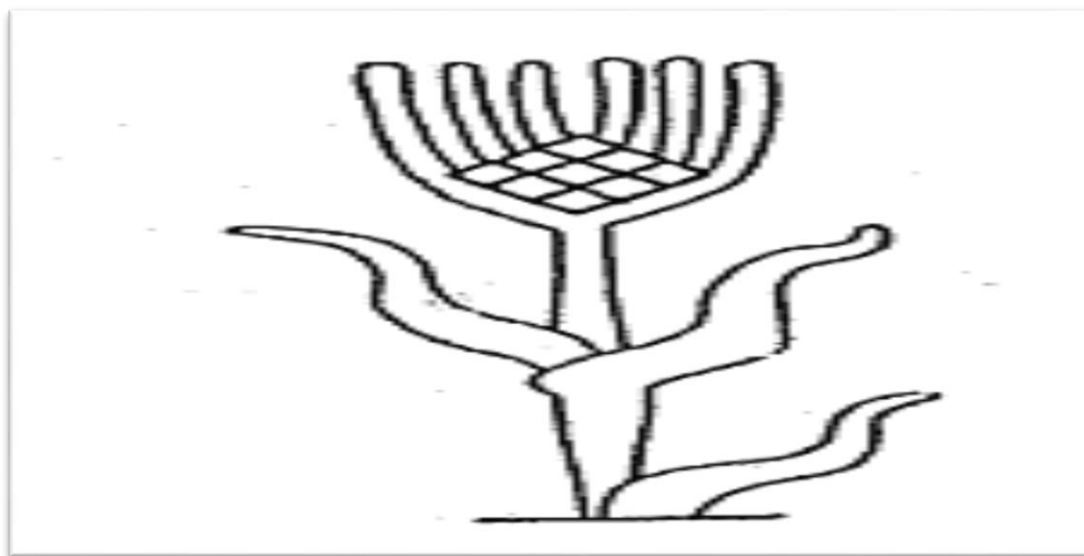
ق م، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2009 ، ص 176



الصورة رقم 1 : صورة الكون عند السومريين

الملحق رقم 07 : يبين صورة الكون عند السومريين

المصدر : خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 78



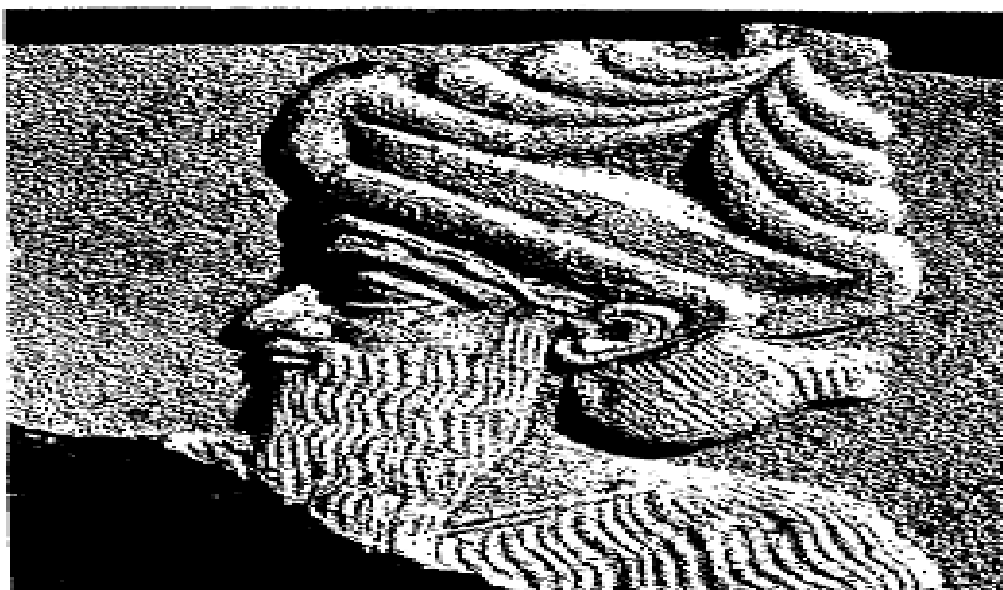
الصورة رقم 1 : رمز الاله دموزي



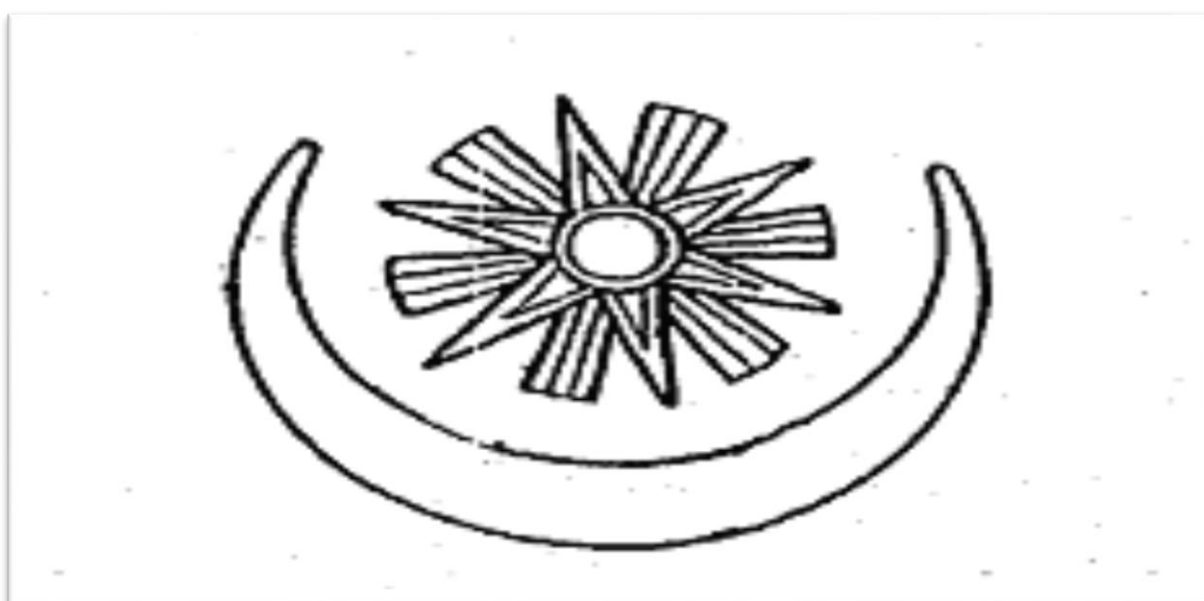
الصورة رقم 2: رمز الاله اشنان

الملحق رقم 08 يبين رمز الإلاهين اشنان دموزي

المصدر خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 156



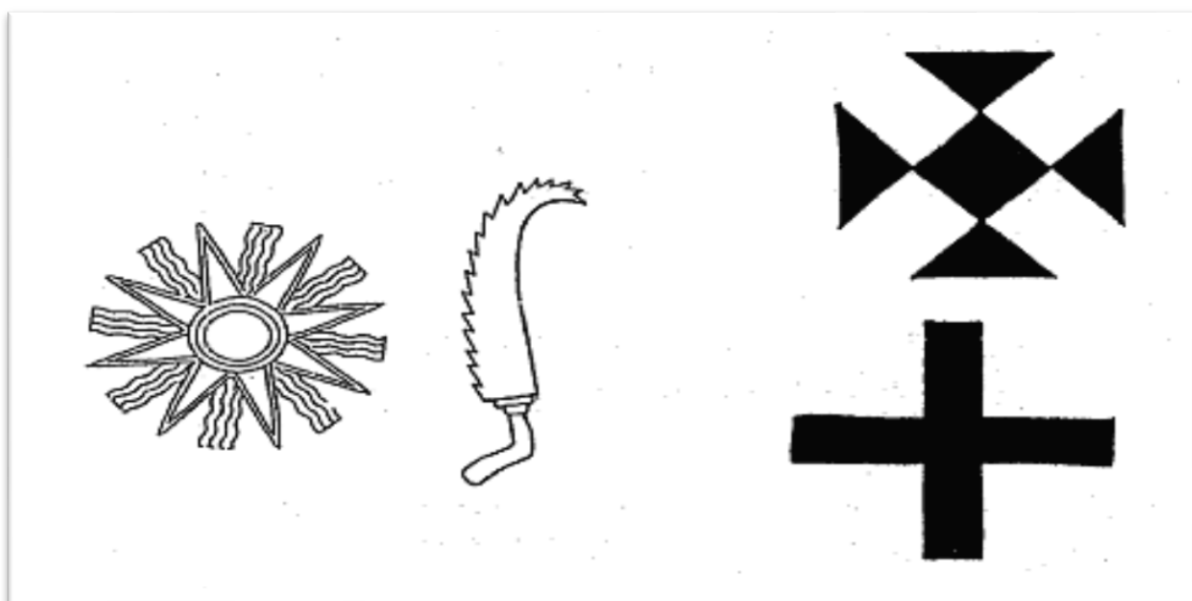
الصورة رقم 1 :إله القمر نانا



الصورة رقم 2: الرمز السومري لاله القمر نانا

الملحق رقم 09 : يبين إله القمر نانا

المصدر : خزعل الماجدي ، متون سومر ، المرجع السابق ، ص 111 .



الصورة رقم 1: رموز اله الشمس نهاية الالف الخامس قبل الميلاد و العصر الاكادي



الصورة رقم 2: عشتار آلهة الحب و هي ترضع العالم

الملحق رقم 10 يبين رمز الإله شمش والإلهة عشتار .

المصدر : خزعل الماجدي ،متون سومر ،المرجع السابق، ص 119

" أنليل ذو الأمر الواسع المدى الذي "كلمته مقدسة"،
" الرب الذي لا يبدل "كلامه" الذي يقدر المصائر إلى الأبد ،
" الذي تبصر عيناه جميع الأقاليم .
الذي يتغلغل نوره المتعالي في داخل (قلب) جميع البلدان
"أنليل" الذي يجلس مائل (المنصة) البيضاء ، السامية ،
" الذي يحكم إرادات القوة و السيادة و الإمارة .
" آلهة الأرض تسجد له خشية و رهبة ،
" وتذل آلهة السماء أمامه.
" مدينة نفر ذات مطهر يبعث الخوف و الرعب .
" و الظالون و الأشرار و الظالمون ... و النمامون
أنظر إلى نيبور عماد السماء و الأرض (هي)
أنظر إلى نيبور المدينة
ترى أسوارها العالية مدينة
ترى نهرها الرقراق أبدا سيالا
ترى رصيفها كاركورانا حيث ترسو السفن
ترى بولال نبعها الصافي

المصدر : صمويل نوح كريم ، المرجع السابق ، ص 185

ترى أدنونير و جدولها العذب

هناك نليل فتاتها الشابة

هناك تبار شيكونو سيدتها العجوز

تبدأ القصة ، فنجد سيدون يور العجوز و هي تخبر ابنتها

في تلك الأيام قامت الأم بإرشاد ابنتها

قامت نينار شيكونو تنصح ابنتها

عند النهر الصافي يا فتاتي ، عند النهر الصافي اغتسلي

وعلى ضفة نهر النيردو أي نليل تمشي

ذو العينين البراقتين، السيد ذو العينين البراقتين

الجبل العظيم أ نليل الأب ذو العينين البراقتين سيراك

الملحق رقم 11 : يبين قصيدة لتمجيد الإله أنليل

المصدر : صمويل نوح كريم ، المرجع السابق ، ص 185

انتن جعل النعجة تلد الحمل، و العترة تلد الجدي .
جعل البقرة و العجل يتكاثران، و القشدة و اللبن يزيدان.
في الفقار ادخل السرور على قلب الماعز البري و الغنم و الحمار البري
طيور السماء و جعلها تبني اعشاشها على الارض الرحبة .
سمك البحر جعله يضع بيضه في دغل القصي
في غياض النخيل و الكرمة جعل العسل و النبيذ وفيرين .
الاشجار حيثما زرعت ، جعلها تحمل ثمارا .
البساتين كساها بالاخضر اخصب نباتاتها جعل الحب يتكاثر في الاخاديد .
مثل اشنان العذراء اللطيفة ، جعله يطلع قويا .
ايشن ايضا قام بمهمته خير قيام .
ايمش اوجد الاشجار و الحقول ، وسع الاصطبلات و الحضائر
المزارع كثر غلاتها . كما ارضها .
جعل الحصول الوفير يدخل البيوت ، و ملاء العنابر الى تمامها .
جعل المدائن و المساكن متتاد و البيوت تبني في البلاد .
و المعابد تطاول الجيل.

الملحق رقم 12: أسطورة سومرية لخلق الحيوانات

المصدر : صلاح أبو السعود ، المرجع السابق ، ص 17- 18

يا أماه أن المخلوق الذي نطقت باسمه موجود .

فاربطي عليه صورة الإله (؟)

" أعجبنى لب الطين الموجود فوق مياه العمق ."

" و اجعلي الصانعين المهرة يكشفون الطين ."

" و عليك أنت أن توجدي له الأعضاء و الجوارح ."

و ستعمل " نتماخ " الأم — الآلهة " من فوق يدك .

و ستقوم بجانبك إلهة " الولادة " ... في أثناء صنعك.

يا أماه قدرني مصيره (أي مصير المولود الجديد) .

و سيربط " نتماخ " عليه صورة الآلهة (؟)

انه الإنسان ...)

الملحق رقم 13: أسطورة سومرية لخلق الانسان

المصدر : صلاح أبو السعود ، المرجع السابق ، ص 17- 18

السيد الاله (انليل) قد جعل كل ما هو نافع يبدو ناصعا .

السيد الذي تقريره للمصير لا يمكنه ان يتغير

قد اسرع لفصل السماء عن الارض ، قد اسرع لفصل الارض من السماء و بعد ذلك جعل (اوزو - موا) الانسان الاول يظهر

و حفر شقاقي في الارض في منطقة دور انكي

و خلق المعول ، و عندما انتهى النهار

قررنا احيانا العمل و قرر المصير

و بينما كان انيت مقبض المعول و مقبض سلة العمل

مجد الاله انليل معوله (أي الذي خلقه)

و جلب المعول الى (اوزو - ايا) .

ووضع بدايات البشر في الشق .

و عندما بدأ البشر يظهرون مثل الحشيش من الارض

كان الاله انليل مرتاحا الى شعبه السومري .

ووقفت الى جنبه الهة الانوفا .

واضعة اياديها على افواهها .

و هي تقدم الصلوات للاله انليل

ووضعت المعول في ايدي الشعب السومري "

المصدر : خزعل الماجدي ،(بخور الالهة)، المرجع السابق، ص 305 .

البشر الاوائل لم يعرفوا اكل الخبز بعد
و لم يعرفوا ارتداء الملابس
كانوا يسيرون على ايديهم و ارجلهم
وكانو كاخراف يعلفون الحشيش
و من القنوات يشربون الماء
’نذاك في المكان الذي فيه الآلهة
في معبدهم التل المقدس
تجمعوا على انتاج النعجة و الشعير
و اكل آلهة الانونا ، آلهة التل المقدس
لكنهم لم يبلغو مرحلة الشبع
المشروب الذيد انتاج حضيرة الاغنام
شرب آلهة الانوناكي . آلهة التل المقدس
و لكنهم لم يبلغوا مرحلة الارتواء
في حظيرة الاغنام الظاهرة تركوا ما ييعدهم
تركوا البشرية روح حياتهم.

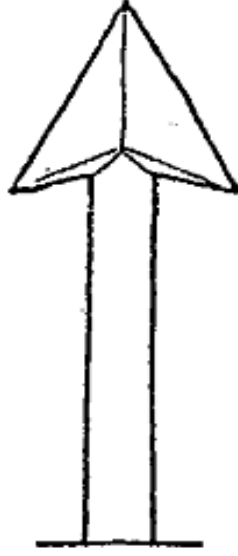
الملحق رقم 14 : قصيدة سومرية تبين فصل السماء عن الأرض

المصدر : خزعل الماجدي ،(بخور الالهة)، المرجع السابق، ص 305 .

جلست الآلهة أنو و أنليل و أوتو و أنكي
الآلهة العظيمة و الأنونا كي. الآلهة العظيمة على الكرسي العالي
ذي الرهبة المخفية وأخذوا يتحدثون مع بعضهم البعض
بعد ان وضعت الآلهة قواعد السماء و الارض
و بعد ان نظمت الجداول و القنوات ، و ثبتت شواطئ دجلة و الفرات
عندما قال الاله انليل لهم : ماذا تريدون ان تعمل الآن ؟
ماذا تريدون ان تخلق الآن ، اينما الانونا كي ، الآلهة العظيمة ؟
اجابوا سوية عن السؤال الاله انليل
في اوزموا من منطقة دورانكي -
نريد ان تذبح آلهة -مكا-
حتى تسبب دماؤها في ظهور البشرية
و حتى واجبات عمل الآلهة تصبح واجباتها
و عليها (أي البشرية) ان تعمل الى الابد على تثبيت قنوات الحدود
و ان تضع في يدها المعول و سلة العمل "

الملحق رقم 15: قصيدة سومرية تبين كيفية تنظيم الكون

المصدر : خزعل الماجدي ،(بخور الآلهة)، المرجع السابق ، ص 305



الصورة رقم 1: رمز الاله مردوخ في العهد البابلي القديم



الصورة رقم 2: رمز الاله أيا حوالي 1800 ق م

الملحق رقم 16 : يبين رمز الإله مردوخ والإله أيا

المصدر : خزعل الماجدي ،انجيل بابل ،المرجع السابق، ص 19 .



الصورة رقم 1 : : رمز الاله مردوخ في القرن 6-7



الصورة رقم 2 : الاله مردوخ مع حيوانه

الملحق رقم 17 يبين الاله مردوخ وحيوانه

المصدر : خزعل الماجدي ، انجيل بابل ، المرجع السابق ، ص 44



الصورة رقم 1 : رسم بين الاله مردوخ و صراعه مع تيامات

الملحق رقم 18 يبين صراع الاله مردوخ و الالهة تيامات

المصدر : خزعل الماجدي ، انجيل بابل ، المرجع السابق ، ص 29.



الصورة رقم 1 :الاله نرجال القرن12ق م



الصورة رقم 2: منظر اسطوري للنباتات و الحيوانات

الملحق رقم 19 يبين الاله نرجال ومنظر أسطوري لحيوانات

المصدر : خزعل الماجدي ،انجيل بابل،المرجع السابق،ص 75



الصورة رقم 1: اوعية ايا و ماءه الذي خلق به الانسان

الملحق رقم 20 يبين الاله أيا وماءه الذي خلق به الانسان.

المصدر : خزعل الماجدي ،انجيل بابل،المرجع السابق، ص 129

السيرة النبوية

المصادر :

القرآن الكريم ، رواية ورش.

العهد القديم ، ط 1 ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، 2005.

مراجع :

1/ أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن و إعرابه ، ج 4 ، ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت 1988

2/ احمد اسماعيل النعيمي ، الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام ، ط 1 ، سينا للنشر ، القاهرة ، 1995.

3/ أحمد كمال زكي ، الأساطير ، ط 2 ، دار العودة ، بيروت 1979.

4/ بشير زهدي ، مقدمة في الميثولوجيا ، مجلة المعرفة ، العدد 197 ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، يوليو ، 1978

5/ جرجس صبري ، التراث اليهودي الصهيوني و الفكر الفرويدي ، ط 1 ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، 1970.

6/ جفري بارندر ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، 1993

7/ حبيب سعيد ، أديان العالم ، دار التأليف و النشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ، (د.ت)

8/ حرب طلال ، أولية النص : نظرات في النقد و القصة و الأسطورة و الأدب الشعبي ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ، (د . م) ، 1999

9/ حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة — المقدمات النظرية ، ط 1 ، دار التنوير ، بيروت ، 1988.

10/ الحسيني عباس علي ، مملكة ايسن بين الارث السومري و السيادة الامورية ، اتحاد كتاب العرب ، سوريا ، 2004.

11/ حسين نعمة ، موسوعة الأديان السماوية الوضعية — ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ، ج 2 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994

12/ خزعل الماجدي ، متون سومر ، الكتاب الأول : التاريخ — الميثولوجيا — اللاهوت — الطقوس ، ط 1 ، الأهلية للنشر ، عمان ، 1998

13/ خزعل الماجدي ، بخور الآلهة ، دراسة في الطب و السحر و الاسطورة و الدين ، ط 1 ، الأهلية للنشر ، عمان ، 1998.

- 14/ خزعل الماجدي ، انجيل بابل ، ط 1 ، منشورات الأهلية ، لبنان ، 1998
- 15/ رشيد فوزي و آخرون ، الديانة في حضارة العراق القديم ، ج 1 ، منشورات الجمع القلمي ، بغداد ، 1985.
- 16/ س — ن — كريم ، الموسوعة الصغيرة (77) ، تر: ناجية المراني ، منشورات دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة و الاعلام ، بغداد 1980
- 17/ سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، المركز الأكاديمي للابحاث ، بيروت 2013
- 18/ سبتينوموسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، تر السيد يعقوب ، الهيئة المصرية ، للكتاب ، مصر ، 1997
- 19/ ستيفاني دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، الخليقة ، الطوفان ، كلكامش ، غيرها تر : نجوى نصر ، ط 2 ، بيان للنشر و التوزيع و الإعلام ، بيروت ، 2011
- 20/ سعيد علوش ، المصطلحات الأدبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، (د،ت)
- 21/ سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ، بيسان للنشر و التوزيع ، سوريا ، 2003،
- 22/ سوزان لوهافر ، الإعتراف بالقصة القصيرة ، تر محمد نجيب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1990.
- 23/ سيد القمني ، الأسطورة والتراث ، ط 3 ، المركز المصري لبحوث الحضارة ، القاهرة ، 1999.
- 24/ سيد محمود القمني ، قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ، (د،ن) ، (د.م) ، (د،ت)
- 25/ شارل قيرو للو ، أساطير بابل و كنعان ، تع ، ماجد خبيك ، (د.ن) ، (د.م) ، 1990
- 26/ صالح بن حمادي ، دراسات في الأساطير و المعتقدات الغيبية ، ط 1 ، دار بوسلامة ، تونس ، 1983
- 27/ صلاح أبو السعود ، أساطير سومر و بابل ، دار مشارق ، الجزيرة ، 2009

- 28/ صمويل كريمير ، من ألواح سومر ، تر: طه باقر ، مؤسسة فراكليين للطباعة و النشر ، بغداد ، (د . ت) .
- 29/ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ط 1 ، دار الحرية ، بغداد ، 1976
- 30/ عبد الحكيم شوقي، السير و الملاحم الشعبية العربية، دار الحداثة بيروت ، (د . ت)
- 31/ عبد الحميد زايد، الشرق الخالد ، مقدمة تاريخ حضارة الشرق الأدنى من العصور حتى ، دار النهضة العربية، بيروت 1996
- 32/ عبد المالك مرتاض ، الميثولوجيا عند العرب : دراسة لمجموعة من الأساطير و المعتقدات العربية القديمة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1989.
- 33/ عبد الوهاب حميد رشيد ، حضارة وادي الرافدين - ميزوبوتاميا، دار الثقافة، دمشق، 2004 .
- 34/ عمر سليمان الأشقر ، صحيح القصص النبوي ، ط 7 ، دار النفائس ، عمان ، 2007.
- 35/ ف ، فون ، زودن ، مدخل الى حضارات الشرق القديم ، تر: فاروق إسماعيل ، دار الثقافة ، سوريا ، 2003.
- 36/ فاضل عبد الواحد علي ، عا مر سليمان ، تاريخ العراق القديم، ج 2، مطبعة جامعة بغداد، بغداد 1980
- 37/ فاضل عبد الواحد علي ، عشتار و مأساة تموز ، الاهالي للطباعة ، دمشق ، 1999 25 .
- 38/ فراس السواح ، الأسطورة و المعنى (دراسات في الميثولوجيا و الديانات الشرقية) ، ط 2 دار علاء الدين ، دمشق ، 2001
- 39/ فراس السواح ، دين الانسان : بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني ، ط 4 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2002.
- 40/ فراس السواح ، لغز عشتار الالهوية المؤنثة و اصل الدين و الاسطورة ، ط 1، دار علاء الدين ، دمشق ، 1985.
- 41/ فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى، دراسة في الأسطورة ، سوريا ، بلاد رافدين ، ط 11 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1996

- 42/ فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1990
- 43/ فرج ياسين، أنماط الشخصية المؤسّرة في القصة العراقية الحديثة، ط1، دار الثقافة العامة، بغداد، 2010
- 44/ فرنكفورت و آخرون، ما قبل الفلسفة، تر: جيرا إبراهيم جيرا، المؤسسة العربية للدراسات، (د. م)، 1982
- 45/ فضيلة عبد الرحمن حسين، فكرة الاسطورة و كتابة التاريخ، دار اليازوري العلمية، عمان، 2009.
- 46/ فيصل الوائلي، من أداب العراق القديم، مجلة سومر، المجلد 19، ج 1+2، مديرية الآثار، بغداد 1963
- 47/ قاسم الشواف، ديوان الاساطير سومر و اكا دواشور، الكتاب الثاني الالهة والبشر، ط1، دار الساقى، بيروت لبنان، 1996
- 48/ ك رانفن، الأسطورة، تر: جعفر صادق الخليلي، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 1981.
- 49/ كارم محمود عزيز، أساطير التوراة الكبرى و تراث الشرق الأردني القديم، ط1، دار الحصاد للنشر و التوزيع و الطباعة، دمشق، 1999
- 50/ كلكشوف، الحياة الروحية في بابل، الإنسان، الصبر، الزمن، تر، عدنان عاكف حمودي، ط1، دار المدى للثقافة و النشر، سوريا، 1995
- 51/ كيرا ادوارد، كتبوا على الطين: رقم الطين البابلية تتحدث اليوم، تر: محمود حسين الأمين، ط2، دار المثني، بغداد، 1964
- 52/ ل، ديلارت، بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية و الآشورية، تر: محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1976
- 53/ مارغيتروتن، تاريخ بابل، ترزينة عازا، ط2، منشورات عويدات، بيروت 1984
- 54/ محمد أركون، الفكر العربي، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 1983.

55/ محمد عبد الرحمن يونس ، الاسطورة مصادرها و بعض المظاهر السلبية في توظيفها ، ط1 ، دار الالمعية (د.م) ، 2014 .

56/ محمد عزام ، النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي ، منشورات إتحاد كتاب العرب ، دمشق ، 2001

57/ محمد فهد الفيسي ، قصة الخليفة بين اللوح المسمارية و الكتب السماوية ، ط1 ، تموزة للطباعة ، دمشق ، 2011.

58/ محمد مندور ، الأدب و فنونه ، ط 5 ، دار النهضة ، مصر ، 2006

59/ الموصفي محمد علي ، في التربية الاسلامية بحوث و دراسات ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1986

60/ ميرسيا إلياد ، ملامح من الأسطورة ، تر: حبيب كاسوحة ، منشورات الثقافة السورية ، دمشق ، 1995

61/ نجيب أحمد ، المضمون في أدب الأطفال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1979.

62/ نبيلة إبراهيم . أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب ، القاهرة (د،ت).

63/ ول و ايرل ديو رانت ، قصة الحضارة الشرق الأدنى ، تر : محمد بدران ، ج 2 ، مج 1 ، دار الجليل ، بيروت ، (د . ت)

الموسوعات :

1/ فراس السواح ، موسوعة تاريخ الأديان ، مصر ، سورية ، بلاد الرافدين ، العرب قبل الإسلام ، الكتاب الثاني ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2004.

2/ نخبة من الباحثين العراقيين ، حضارة العراق ، ج 1 ، بغداد ، 1989

3/ يوسف حسن ، الموسوعة الصغيرة 83 ، الإنسان في أدب وادي الرافدين ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد 1980

المعاجم :

1/ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 12 ، ط 1 ، دار الصادر ، بيروت ، 2003

2/ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، 2004

3/ ميشيل دينكن ، معجم علم الاجتماع ، تر : إحسان محمد الحسن ، دار الرشيد ، بغداد
1980

الرسائل الجامعية :

- 1/ بقعة بلخير، اثريانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية _ سومر وبابل (3200_539 ق.م)، أطروحة ماجستير ، الاشراف : بلقاسم رحمان ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، غير منشورة ، الجزائر ، الجزائر ، 2009
- 2/ الموسوي جاسب مجيد جاسم ، الدين و المعتقد في حضارة بلاد وادي الرافدين و أثره في الفكر الديني في حضارة بلاد إيران خلال المدة (3000 ق.م – 624 م) دراسة مقارنة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2007 .

فهرس المحتويات

	اهداء
	شكر و عرفان
أ	مقدمة
	الفصل الاول : لمحة عن أدب بلاد الرافدين
8	1- تعريف الأدب
10	2- أنواع الأدب المادة والألواح الطينية
10	أ- ملحمة جلجامش
20	ب - قصة الطوفان
20	ج - ملحمة زيوسدرا
21	د- ملحمة أتراحاسس
22	3 مفهوم الأسطورة والملحمة والقصة
22	أ- الاسطورة.....
27	ب- الملحمة.....:
29	ج- الفرق بين الاسطورة و الملحمة :
30	د- القصة :
31	هـ- الفرق بين الاسطورة و القصة :
32	أنواع الأسطورة وخصائصها
32	أ- أنواع الأسطورة :
35	ب- خصائص الأسطورة
	الفصل الثاني : أسطورة الخلق السومرية
40	المبحث الأول : الآلهة المسؤولة عن الخلق
40	1/ - آن - أنوم - أنو.....
42	2/ كي.....
42	3/ أنليل.....
44	4/ أنكي.....
45	5/ مجمع الآلهة العظام و الثانويين :

46	المبحث 2 : خلق الكون :.....
46	1/ بداية الخلق
48	2/ فصل السماء عن الأرض :
49	3/ تنظيم الكون :.....
51	4/ شكل الكون و أقسامه :
52	5/ خلق النبات و الحيوان :
56	المبحث الثالث : خلق النجوم و الكواكب.....
56	1/ ن نار ،نانا (إله القمر) سين sin
57	2/ الإله " أوتو " " شمس " uto shamsh :
58	3/ إنانا Innina . ishtar
59	المبحث الرابع : خلق الانسان :
59	1/ خلق البشر و بداياتهم :.....
60	2/ الاصل الطيني و المائي للانسان :
61	3/ الاصل النباتي للانسان :
61	4/ الاصل الحيواني :
62	5/ الاصل الالهي للانسان :
62	6/ الاصل اللوغوسي للانسان
	الفصل الثالث : اسطورة الخلق البابلية
66	المبحث الاول : خلق الآلهة:.....
67	1/ أول الخلق وبدايته.....
68	2/ الآلهة الصغار تشيع ا لفوضى
71	3/ ولادة الاله مردوخ
76	4/ مردوخ وصراعه مع تيامات
79	المبحث الثاني :خلق الكون :.....
79	1/ خلق السماء.....
80	2/ خلق الأرض:.....
82	3/ مردوخ ينظم الطبيعة :.....

83	خلق النبات و الحيوان :.....
84	المبحث الثالث :خلق النجوم و الكواكب.....
84	1/ القمر (سين).....
85	2/ الشمس (شمس).....
86	3/ الزهرة (عشتار).....
87	المبحث الرابع :خلق البشر.....
87	1/ بدايات الخلق :.....
88	2/خلق الانسان " لولو " lullu ".....
91	الخاتمة :.....
95	الملاحق:.....
120	قائمة المصادر والمراجع :.....
130	فهرس المحتويات:.....